بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

شعارنا الوحيد

إلى الإسلام من جديد

ندوة العلماء - لكهنؤ - الهند

Phone : 42948

Regd No LW/NP59

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwat - ul - Ulama LUCKNOW (India)

صدر حديثاً :

بين الدين و المدنية

حاولت الفلسفات و المدنيات والحضارات العالمية أن تحل ألغاز الحياة، وتدخلت عبر التاريخ الطويل فى شئون خارجة عن نطاقها . . وحملت على نفسها عبئاً ثقيلا لا تطيقه و كانت نظير قوله تعالى : « كلما أضاء لهم مشوا فيه و إذا أظلم عليهم قاموا » « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » . . ولم ينجح فى هذا المضمار إلا الدين بأوسع معانيه ، و أعمق مفاهيمه . . . و ذلك ما يعبر عنه القرآن بقوله البليغ ، يحكى عن النبى ﷺ ، « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » .

كيف يحل الدين و نور النبوة ألغاز الحياة ؟ و لماذا تخفق هذه الفلسفات الهامة - مرة بعد مرة - و تبدو كالمحاولات الصبيانية إلى جانب الهدى النبوى ؟

أقرأ القصة ببلاغة وإيجاز ، و هى تتسم برزانة علمية ودراسة هادفة و رؤية فكرية واضحة فى كتاب :

بين الدين و المدنية

للمفكر الاسلامى الكبير سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى

أطلبوا من المكتبات الاسلامية فى البلاد العربية .

Printed by S. M. Hsrni at Nadwa Press Lucknow

البعث الإسلامي

دعوتنا

[نحن ندعو إلى الاسلام الكامل الذى يعطى كل ذى حق حقه ، و ينير العقول ، و يشعل مجامر القلوب ، و يهذب الأخلاق ، و ينظم الحياة ، و يضبط الأمم ، و يقود المدنية ، و يشعل المواهب ، و ينشئ الرجال ، و يربى القادة و العباقرة ، لا هو جاف خشيب ، و لا هو رقيق مائع ، و لا هو رهبانية و هجر للدنيا ، و لا هو مادية و نهامة للحياة ، إنما هو الدين الذى جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - و نطق به القرآن ، و تمثل فى حياة الصحابة ، و القرون المشهود لها بالخير ، و التابعين لهم باحسان ، من الجامعين بين العقل و القلب ، و العقيدة و العمل ، و الجهاد و الربانية]

أبو الحسن على الحسنى الندوى
(« الاسلام الممتحن » ص : ١٥)

رئاسة التحرير

محمد الحسني سعيد الأعظمي

● العدد التاسع ● المجلد الثالث والعشرون
● جمادى الثانية ١٣٩٩هـ ● مايو ١٩٧٩م

فى .. هذا العدد

مجتمع « التنافس » و مسئولية الدعاة	محمد الحسنى	٣
التوجيه الاسلامى		
الحياة الدنيا كما ينظر إليها القرآن	سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى	١٠
مسئولية الآباء و المربين	بقلم : الأستاذ محمد قطب	١٧
الدعوة الاسلامية		
الموافقون للدعوة	الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى	٣١
العلاج الصحيح للتخلص من الجاهلية العالمية	الأستاذ عبد الكريم سليمان	٤٥
دراسات وأبحاث		
مولانا رحمة الله الكيرانوى	سماحة الشيخ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى	٥١
بين الانسان الصناعى و الانسان الحقيقى	الأستاذ محمد تقى الأمينى	٦٤
فى رياض الشعر و الأدب		
أدب الصحافة فى العصر الحديث	الدكتور محمد راشد الندوى	٧٢
العالم الاسلامى		
كيف يفكر أهل الغرب نحو العالم الاسلامى	. . .	٨٢
لمحة عن واقع المسلمين	. . .	٨٧
كيف تسمح غيرتنا بأن نكرم أعداءنا	فضيلة الأستاذ السيد محمد الرابع الحسنى الندوى	٨٩
تقويم القذافى الجديد	الأستاذ محمد واضح رشيد الندوى	٩١
صور و أوضاع : ادفعوا ضريبة الشرف . . .	محمد الحسنى	٩٣
صفقة خاسرة	. . .	٩٥
هل صحيح أن عهود الاسلام	. . .	٩٦
أنباء لا تحتاج إلى تعليق	. . .	٩٨
سعادة الأمين العام للجامعة الاسلامية بالمدينة . .	(قلم التحرير)	٩٩
رحلة سعيدة	. . .	١٠٠
وداعاً . . . فى « متحف » التاريخ	. . .	١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مجتمع « التنافس » و مسئولية الدعاة

فى القرون الأولى ، فى أيام الزهد و الورع و التقوى ، و الجهاد و المجاهدة و شظف العيش كان المفهوم المعقول أن يقف الدعاة والعلماء على منابر العلم ويحثوا الناس على القصد و الاعتدال ، والأخذ بحظهم من أسباب الدنيا و متاعها و نعيمها ولكن هذا المعقول المفهوم الذى كان يبدو بريئاً فى أنظار الناس و مبرراً للانقطاع إلى المتاع الدنيوى لفترة محدودة من الزمن لم ينل استجابة من الرسول ولما أبدى بعض أصحاب رسول الله ﷺ رغبتهم فى التوجه إلى مزارعهم وحرثهم ، وقد أنهكتهم الحروب و أصابهم الجفاف ، نزلت آية . . . ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة .

نزلت هذه الآية فى أنضر العصور الاسلامية و أزهرها و أروعها و أكملها طبعاً ، أفلا يجدر بنا اليوم أن نجدد هذه الدعوة إلى الزهد و القناعة باليسير ، وإلى الورع والتقوى ، والايثار والتضحية ، و إلى مجاهدة النفس و مكابدة العدو فى هذا الزمن الذى انقطع الناس فيه كلياً إلى الدنيا و غرقوا فيها إلى آذانهم .

ولكن بالعكس من ذلك قام فينا دعاة و مفكرون - ولا مواخذة - يدعون إلى تحسين الحالة الاقتصادية و الأخذ من الدنيا بنصيب وافر ، وظلوا يشرحون فضائل المال ، وفضائل الكسب كأن الناس صاروا رهباناً هجروا الطعام والشراب ، و لجأوا إلى المغارات و الكهوف ، وحرموا على أنفسهم طيبات أحلت لهم فكانت الحاجة ماسة إلى دعوتهم إلى الدنيا قبل ينقرض هذا الجيل من شدة الفقر والفاقة ،

و الجفاف و الزهد و التزمت ، و القناعة بكساء واحد ، و إناء واحد ، و النوم على الحصير ، و التمرغ فى التراب .

و إذا قام فينا واحد يدعو إلى بعض الزهد و بعض الصبر ، و بعض الروية والتعقل ، قالوا إنه راهب خرج من صومعته أوعابد يعيش فى البرج العاجى ، أوجاهل لا يعرف نفسية العصر و حالة الجيل المعاصر .

يا عقلاء ، يا جماعة ، إن الزمان ، زمان الجنون ، جنون المال ، و جنون الشهوة الجنسية ، وجنون التنافس فى جمع أكبرمقدار ممكن من الريالات والدولارات و العقارات و الممتلكات ، و الفنادق و الشركات و الوكالات فى أقصر وقت ممكن والفوز بأرباح خيالية فى ساعات محدودة أوأيام معدوده ... إن الناس جن جنونهم ببريق الدنيا ولمعانها فى أمريكا المتألقة المتأنقة وفى داخلها عذاب لايوصف ، و تمزق نفسى لا يصور ، و جحيم لا تدركه العيون الاليكترونية والحاسبات الآلية الدقيقة ، فانه عذاب الروح و لا يعرفه إلا المعذبون .

هل هذا التنافس المجنون يحتـــاج إلى تريث ، و يحتاج إلى أن نربت كتف هذه الحضارة المادية الرعناء المتخمة بالمـــال بغاية من الدلال و العطف ، و نقول لأبنائها هونوا على نفوسكم ، لا تتجهوا إلى الرهبانية و التزمت ، لماذا تزهدون فى الدنيا ، وهى نعمة من الله تحتاج إلى كل شكر و تقدير وانتفاع واستغلال ، اجمعوا بين الدنيا و الدين ، حذار أن تنسوا نصيبكم من الدنيا . . فقد جاء فى القرآن وجاء فى السنة كذا ، وكان فى الصحابة أغنياء و خلفاء ، و المال نعمة .. و المـــال عصب الحياة و المال كذا و كذا ...

هل يجوز أيها العقلاء أن توجه هذه الكلمة أو هـذا النصح إلى رجل أفتتن بالمال - مقدماً - وجن به وأصيب بالتخمة ، هل يجوز أن ندعو رجلا صرف كل همه

إلى جمع المال وتخطى فى سبيل ذلك سائر الحدود و القيود إلى الأخـذ بنصيبه من الدنيا و الشكر على نعمة المال .

إن المال نعمة، ما فى ذلك من شك ، وإن المال عصب الحياة ما فى ذلك من شك أيضاً ، وإن بالمال يمكن أن نبنى مسجداً ، و إن بالمال يمكن أن نعقـــد مؤتمراً ، وأن بالمال يمكن أن نشترى الذمم ، لا قدر الله ذلك ، وإن بالمال يمكن أن نخرس ، لا سمح الله ، ألسنة الحق ، و إن بالمال يمكن أن نجرى المنح الدراسية لطلاب المسلمين فى مشارق الأرض و مغاربها ، و أن نبعث بالدعاة و المرشدين ، - و فى الأزهر وحده منهم جنود مجندة - إلى بلاد بعيدة تحتاج إلى نور الاسلام إذا قال الناس هذا لم يكونوا على خطأ ، فالمال يقضى الحـاجات ويستر العيوب . ولكن هل يصح هذا القول و يستحسن فى مجتمع أصيب بالهوس المادى ، و يمكن أن نسميه بمجتمع التنافس والتكاثر ، ولا أستثنى من هذه القاعدة العامة بلداً إسلامياً ، هذا الهوس المادى لا يخص الشعوب الناطقة بلغة القرآن وحدها ، إنه داء الشعوب التى تنطق بالفارسية والأردية والتركية أيضاً ، و داء الشعوب الجاهلية المعاصرة كلها.

إن الذى يصاب بالنهامة و الشهوة والاغراق فى المآكل والمشارب و الحفلات و المآدب ينصح بالصوم لكسر شهوته سواء كانت شهوة الطعام أو شهوة الجنس و إن الذى يواصل الصيام و يزهد فى الطيبات ويشدد على نفسه و يصيبه ضعف فى الجسم أو العقل ينصح بالفطور و استعمال المرطبات و الأغذية التى تقوى جسمه و تنشط عقله . .

و إن من يسرف ويبذخ ينصح بالقصد و العفو . . وإن من يبخل ويمسك يده ينصح بالاكثار فى الصدقة و الانفاق مما يحب كسراً لحب المال . . هـذا هو المنطق السليم ، و المنطق السائد المعترف به فى العالم أجمع ، فما بال أقوام لا تكل

ألسنتهم من الدعوة إلى المال و صنوف الأموال ، و الأخـذ بأسبابها و الاكثاز منها ، و توفير الفرص لها و التركيز عليها و إغراء أبناء البلد بمباهجها و ملذاتها فى مجتمع صار المال فيه « مرضاً » يحتاج إلى علاج ، و حمية و وقاية ، و «عقدة نفسية » تحتاج إلى حل.

إن مثلهم فى هذا الموقف كمثل طبيب يداوى مرض الاستسقاء بالماء ، ويداوى مرض « جوع البقر » بمزيد من الطعام و الشراب ، و يداوى التخمة باطباق شهية و مآدب غنية . . بحجة أنها نعمة من الله و إنه من الجحود و الكفران أن لا نستفيد من بركات السماء و الأرض .

إن المال حين يفيض عن الحاجة ، ويصبح مشكلة ، ويحدث تغييراً فى النفسية ، تغيراً وصفه القرآن بقوله البليغ فقال: «كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى » « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » عند ما يصبح المال وبالا و فتنة هنالك هذا المال لا يستحق الشكر ، بل إنه يستحق الخوف و الاشفاق و الوجل ، و ذلك معنى الحديث الشريف : « لا أخاف عليكم الفقر و لكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا الخ » .

هذا مقام الخوف و ليس هذا مقام الشكر ، هذا مقام العائذ من فتنة المـال و مسئوليته ، و سخط الله و نقمته ، لا مقـام الآمن ، الجذل المسرور ، المرتجى رحمة ربه ، المستزيد من نعمة ماله .

و إنها مسئولية العلماء و رجال الفكر و الدعوة أن لا ينساقوا مع هذا التيار المادى الجارف و أن لا يخافوا من الدعوة إلى الزهد ، و الدعوة إلى البساطة فى الحياة ، و القناعة بالقدر الكافى ، و البعد عن المزالق و أسباب الأغراء ، لأن مجتمعنا المعاصر فى حاجة إلى الزهـد و القناعـة لا إلى التنافس و التكاثر ، أدعوه

بكل صراحة إلى « الصوم الاجتماعى » و لا أريد به الصوم المصطلح فى الشريعة . بل إنما أريد به الصوم - ولو حيناً من الدهر - عن بعض مفاتن الأموال ومهالكها و بعض ملذات لحياة و مباهجها التى يسمونها « رفع مستوى المعيشـة و « مسايرة الزمن » و الذى صوره القرآن حاكياً عن قارون فقال فخرج على قومه فى زينته ، أدعوه إلى هجر الكماليات و أدوات الزينة و الجمال ، و العطور و الرياحين ، والعود و البخور ، و العيش فى أحضان ربات الخدور . . لبعض الحين ، بكل حكمة وبلاغة و قوة و صراحة و لا تخافوا فى ذلك لومة لائم و تأويل فيلسوف !

هذا المجتمع المنهالك على المادة يحتاج إلى أن تأخذوا بزمامه ، و تمسكوا بتلابيبه بدلا من أن تشجعوه على المزيد و الجديد ، و تهيئوا له « شهادة اثبات » أو « ورقة مرور » ليركض إلى أحلامه الخيالية و أوهامه البعيدة تقليداً للأجانب ، و اتباعاً للأمم الجاهلية المعاصرة . إنها أمانة الحق ، و أمانة الدعوة ، و أمانة هذا الجيل الذى صار فريسة العبث و التلاعب حتى فى أعز البلاد الاسلاميـة و أرق البلاد الاسلامية . . .

أنظروا فى داخل البيوتات و الغرفات و وراء الستائر و النوافذ ، و وراء الأقنعة ، و فى النوادى الرياضية ، و السهرات الترفيهية ، و الشاشات الصغيرة ، ثم حددوا موقفكم و خطكم فى الدعوة و منهجكم فى الاصلاح و التربية ، و قاعدتكم الأساسية فى التوجيه ، فى ضوء ما ترون . قولوا لهم : إنكم مرضى و تحتـاجون إلى دواء ، و إنكم مكثرون و تحتاجون إلى تقليل ، و إنكم متهالكون على المـادة و تحتاجون إلى صبر .

خوفوهم من أمر الله ، و من مكر الله شعباً و حكومة ، و رجالا ونساءآ ، و شيوخا و شباناً و ادعوهم إلى تغيير هذا الأسلوب من المعيشة الفارهة اللاهيـة

العابثة الغير الطبيعيـــة - معيشة التنافس المذهل فى العقارات و الشركات ، و الكماليات و الزينات - قبل أن تفوت الفرصة الأخيرة ، بالحكمة و الموعظة والقدوة الحسنة ، و لو كان فى ذلك ضياع بعض الفرص ، وفوت بعض المنافع ، وانقطاع بعض العطايا .

« فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم . . »

إنها طائفة أثنى الله عليها فى القرآن و أشاد بها لسان النبوة قائلا « لا تزال طائفة من أمتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة » .

فهل نحاول أن نكون من هذه الطائفة المبشرة فى زمن تغيرت فيه المقاييس و فى مجتمع أعمى أبصاره « التنافس » و ســـد أبوابه « التناقض » فهو أضفى على مكامن دائه ثوباً جميلا أو علق عليها - فى تعبير أصح و أفصح - واجهة حسنة من القول البليغ ، و الكلام اللبق ، و الحديث الحلو ، و الخطابة الساحرة . فتضاعف الداء و استعصى العلاج . . و كيف يبرأ من مرضه من لا يعترف به ، و كيف يصحح اتجاهه من لا يؤمن بانحرافه و تنكبه عن جادة الصواب !

مجتمعنا اليوم حائر بين تنافس و تناقض ، أما التنافس فقد حاولنا أن نقدم بعض ملامحه - بقدر الامكان وعلى قدر الاحتمال - أما « التناقض » فهو حديث مستقل و هو حديث ذو شجون ، و فى هذا القدر كفاية و مقنع و بلاغ ، إذا أصغت الآذان ، و انشرحت الصدور ، و لم تخالطها الوساوس والظنون ، ولاحول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم ؟ .

محمد الحسني

التوجيه الإسلامي

الحياة الدنيا كما ينظر إليها القرآن

سماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

نظرة القرآن إلى الحياة الدنيا :

هنا نقف وقفة قصيرة ، و نتساءل : ما هي نظرة القرآن إلى الحياة الدنيا ؟ و يحسن بنا أن نستعرض القرآن في هذا الموضوع ، و نستوحيه ، فقد اضطربت عقول المسلمين و نظراتهم ، و أقوال الباحثين واتجاهاتهم في هذه الحياة ، وقيمتها و منزلتها .

إن القرآن يقرر - بكل وضوح وقوة وصراحة - قصر هذه الحياة الدنيا و تفاهتها ، وتضاؤلها في جنب الآخرة ، فيقول مثلا : « فما متاع الحياة الدنيا ، في الآخرة إلا قليل » (١) .

و يقول : « و ما هذه الحياة الدنيا إلا لهو و لعب و إن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » (٢) و يقول : « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينكم و تكاثر في الأموال و الأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاما و في الآخرة عذاب شديد و مغفرة من الله و رضوان و ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » (٣) .

(١) سورة البراءة ٣٨ (٢) سورة العنكبوت ٦٤
(٣) سورة الحديد ٢٠

و يقرر كذلك في وضوح و قوة أنها قنطرة إلى الآخرة و فرصة للعمل . فيقول : « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا » (١) ، و يقول : « الذي خلق الموت و الحياة ليبلوكم أيكم هي أحسن عملا و هو العزيز الغفور » (٢) .

و يقرر أن الآخرة هي خير و أبقى ، فيقول : « و ما الحياة الدنيا إلا لعب و لهو و للدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون » (٣) و يقول : « و ما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا و زينتها و ما عند الله خير و أبقى أفلا تعقلون » (٤) .

إذن هو يذم و يشنع على من يؤثر الدنيا - هذه الفانية العارضة ، السقيمة الناقصة على الآخرة - الباقية الخالدة الواسعة ، الصافية من الأكدار ، الخالية من الأخطار فيقول : « إن الذين لا يرجون لقاءنا و رضوا بالحياة الدنيا و اطمأنوا بها و الذين هم عن آياتنا غافلون ، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون » (٥) و يقول : « من كان يريد الحياة الدنيا و زينتها نوف إليهم أعمالهم فيها و هم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار ، و حبط ماصنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون » (٦) و يقول : « و ويل للكافرين من عذاب شديد ، الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة و يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد » (٧) و يقول : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون » (٨) و يقول : « فأعرض عمن تولى عن ذكرنا

(١) سورة الكهف ٧ (٢) سورة الملك ٢ (٣) سورة الانعام ٣٢
(٤) سورة القصص ٦٠ (٥) سورة يونس ٧ ، ٨ (٦) سورة هود ١٥ ، ١٦ (٧) سورة إبراهيم ٢ ، ٣ (٨) سورة الروم ٧

و لم يرد إلا الحياة الدنيا ، ذلك مبلغهم من العلم ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بمن اهتدى » (١) ، و يقول : « إن هؤلاء يحبون العاجلة و يذرون وراءهم يوماً ثقيلا » (٢) ، و يقول : « فأما من طغى و آثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى » (٣) .

و يمدح من يجمع بين الدنيا و الآخرة مع إيثار جانب الآخرة على جانب الدنيا ، و معرفة قيمتها و فضلها ، و الحرص عليها ، فيقول « فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و ماله فى الآخرة من خلاق » ، و منهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و قنا عذاب النار » (٤) .

و يقول على لسان نبى الله موسى : « و اكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك » (٥) ، و يمدح خليله إبراهيم عليه الصلاة و السلام ، فيقول : « و آتيناه فى الدنيا حسنة و إنه فى الآخرة لمن الصالحين » (٦) .

بين الأديان السماوية و الفلسفات المادية :

و هنا تتعارض الأديان السماوية ، و تعاليم النبوة أو مدرسة النبوة - إن صح هذا التعبير - مع الفلسفات المادية و التفكير المادى ، الذى يلح على أن هذه الحياة هى كل شئ ، و هى المنتهى ، و يبالغ فى تمجيدها و تقديسها ، و الاحتفاء بها ، و الحرص على ترفيهها و تحسينها و تزيينها .

و قد تجلت هذه النفسية القرآنية ، أو النظرة القرآنية إلى الحياة فى كلام النبى

(١) سورة النجم ٢٩ ، ٣٠ (٢) سورة الانسان ٢٧
(٣) سورة النازعات ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ (٤) سورة البقرة ٢٠٠ ، ٢٠١
(٥) سورة الأعراف ١٥٦ (٦) سورة النحل ١٢٢

ﷺ ، وكثيراً ما كان يقول : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة » (١) ، وكان دعاؤه ﷺ : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً - وفى رواية : كفافاً - ٢١) .

و عن المستورد بن شداد : قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « و الله ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع » (٣)

و قد كانت حياته الطيبة مرآة صادقة لهذه العقيدة و النفسية ، فعن ابن مسعود رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ نام على حصير و قد أثر فى جسده ، فقال ابن مسعود يا رسول الله لو أمرتنا أن نبسط لك و نعمل ، فقال : « مالى و للدنيا ، و ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح و تركها » (٤) ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى حديث الايلاء : « فدخلت على رسول الله ﷺ فاذا هو مضطجع على رمال (٥) حصير ليس بينه و بينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئاً على وسادة من أدم حشوها ليف فسلمت عليه . . (إلى أن قال) فرفعت بصرى فى بيته فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر غير أهبة ثلاثة (٦) فقلت يا رسول الله ادع الله فليوسع على أمتك ، فان فارساً و الروم قد وسع لهم و أعطوا الدنيا ، و هم لا يعبدون الله ، فجلس النبى ﷺ و كان متكئاً ، فقال : أو فى هذا أنت يا ابن الخطاب إن أولئك قوم عجلوا طيباتهم فى الحياة الدنيا » (٧) .

تلاميذ مدرسة النبوة و سيرتهم :

و قد انصبغ كل من تلقى التربية فى هذه المدرسة أو تخرج فيها ، أو كان

(١) رواه البخارى فى كتاب الرقاق (٢) رواه مسلم فى كتاب الزهد
(٣) رواه مسلم (٤) رواه أحمد ، والترمذى ، وابن ماجة
(٥) المراد به النسج (٦) جمع إهاب و هو الجلد
(٧) البخارى ج ٢ ، كتاب النكاح

تلميذاً من تلاميذها بهذه الصبغة ، و سيطرت عليه فكرة الآخرة ، و جرت منه مجرى الروح و الدم ، و تغلغلت فى أحشائه ، فأصبح لا يذهل عن الآخرة و لا يبغى بها بدلا ، و لا يؤثر عليها شيئاً ، فكيفيك إذا أرادت أن تتمثل هذه الروح المسيطرة على تلاميذ هذ المدرسة أن تقرأ صفة على بن أبى طالب رضى الله عنه و هى صورة ناطقة لطراز الانسان الذى تخرج فى هـذه المدرسة ، و نشأ فى أحضان الرسول ﷺ .

عن أبى صالح قال : قال معـاوية بن أبى سفيان لضرار بن ضمرة : صف لى علياً فقال : أو تعفينى ؟ قال : بل صفه ، قال : أو تعفينى ؟ قال : لا أعفيك قال : أما إذاً فانه والله كان بعيد المدى شديد القوى ، يقول فصلا و يحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه و ينطق بالحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا و زهرتها و يستأنس بالليل و ظلمته ، كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة ، يقلب كفـه و يخاطب نفسه ويعجبه من اللباس ما خشن ، و من الطعام ما جشب ، كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ، و يبتدئنا إذا أتيناه ، و يأتينا إذا دعوناه ، و نحن والله مع تقريبه لنا و قربه منا لا نكلمه هيبة ، و لا نبتديه لعظمـه ، فان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، يعظم أهل الدين و يحب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، و لا ييأس الضعيف من عدله و أشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه ، و قد أرخى الليل سجوفه و غارت نجومه ، و قد مثل فى محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ، و يبكى بكاء الحزين ، و كأنى أسمعه و هو يقول : يا دنيا أبى تعرضت ، أم لى تشوفت ؟ هيهات هيهات ! غرى غيرى ، قـد بتتك ثلاثاً لا رجعة لى فيك ، فعمرك قصير ، و عيشك حقير ، و خطرك كبير ، آه من

قلة الزاد و بعد السفر ، و وحشة الطريق » (١) .

و إليك مثالا ثانياً ، و هو خطبة رجل من أصحاب النبى ﷺ يلقيها أميراً فى عاصمة كبيرة من عواصم الدولة الاسلامية الكبرى :

« عن خالد عمر العدوى ، قال : خطبنا عتبـة غزوان - و كان أميراً على البصرة - فحمد الله و أثنى عليه ، ثم قال : أما بعـد فان الدنيا قد آذنت بصرم و ولت حـذاء (٢) و لم يبق منها إلا صبابة (٣) كصبابة الاناء يتصابها صاحبها و إنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم ، فانه قـد ذكرنا أن الحجر يلقى من شفة جهنم فيهوى فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً ، و الله لتملأن ، أفعجبتم ؟ و لقد ذكرنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة ، و ليأتين عليها يوم ، وهو كظيظ من الزحام ، و لقد رأيتنى سابع سبعـة مع رسول الله ﷺ مالنا طعـام إلا ورق الشجر ، حتى قرحت أشداقنا ! فالتقطت بردة فشققتها بينى و بين سعيد بن مالك فاتزرت بنصفها و اتزر سعيد بنصفها ، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار ، و إنى أعوذ بالله أن أكون فى نفسى عظيماً و عند الله صغيراً ، و إنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت ، حتى تكون آخر عاقبتها ملكا فستخبرون و تجربون الأمراء بعدنا » (٤) .

تحرج العقليات و بعض الدعوات من عقيدة الآخرة :

و لا تستطيع العقليات و الدعوات التى لم تتشبع بروح الايمان ، و لم تتاق

(١) صفوة الصفوة لابن الجوزى (٢) أى مسرعة الانتفاع

(٣) البقية اليسيرة من الشراب ، تبقى فى أسفل الاناء .

(٤) مسلم ج ٢ « كتاب الزهد »

التوجيه والتربية من مدرسة الرسول ﷺ مباشرة أن تهضم هذه الفكرة والعقيدة ، أوالاتجاه ولا تسيغه ، ولا تزال فى صراع منها أو فى حرج من ذلك ، وتحاول الفرار منه أوتعلله بأنه كان فى عصر خاص ، وبيئة خاصة وبظروف وأسباب ، ولكن الذى لا غموض فيه أن القرآن و سيرة الرسول ، و الحديث النبوى ممثلى بهـذه الروح و إن هذا هو المزاج الاسلامى ، أو النفسية الاسلامية ، التى تتكون تحت تأثير التربية الاسلامية النبوية ، و كلما استطاع القرآن ، و كلما استطاعت السيرة النبوية ، أن تعمل عملها بحرية و تنشئ جيلا خاصاً يخلق فى الاسلام خلقاً جديداً و لم تساوره العوامل الأجنبية ، كان ذلك مزاجه أو طبيعته أو نفسيته : زهد فى هذه الدنيا و زخارفها و فضولها ، و قناعة بالقدر الكافى ، و اهتمام بالآخر و ما ينفع فيها ، و حنين إلى لقاء الرب ، و إيثار ما عند الله على ما فى هذه الحياة و استقبال للموت على الايمان و فى سبيل الله ، و قد تفيض على شفة هذا الطراز المؤمن كلمة السابقين من أصحاب الرسول ﷺ : « غداً ألاقى الأحبة ، محمـداً و حزبه » (١) .

(١) من قول سيدنا بلال بن رباح الحبشى رضى الله عنه : الغزالى فى الاحياء عن ابن أبى الدنيا .

مسئولية الآباء والمربين

نحوالأولاد و البنين

بقلم : الأستاذ محمد قطب

نحن الآن مع كائن هو فى حس نفسه جديد كل الجدة ، وهو فى حسنا نحن ابننا أو بنتنا اللذين كانا منذ قليل طفلين كبيرين ، نلحظ نموهما الصاعد ولكنـه لا يفجؤنا كثيراً كما يفجأ الشاب نفسه أو الفتاة ! و حقيقـة إن هناك ما يفجؤنا من حال هذا الكائن الجديد ، و لكن ألم يفجأنا و هو وليـد حين حاول الكلام أول مرة وحين حاول المشى أول مرة و حين بدأ ينطق بعض الكلمات بالفعل ، و حين خطا خطواته الأولى بالفعل ؟ !

ألم يفجأنا بعد ذلك حين استقامت لغته و استقام مشيه و جريه و صعوده و هبوطه ؟ ألم يفجأنا و هو يفك لعبته و يحاول إعادة تركيبهـا ، وحين حاول أن يركب الدراجة أو يقفز فوق السور ؟ ألم يفجأنا حين بدأ يتعلم القراءة و يتعلم الحساب ؟ ألم يفجأنا حين ذهب إلى السوق أول مرة وعاد ؟ و حين ذهب إلى المدرسة وعاد ؟ و حين بدأ يستذكر دروسه ؟

ألم يفجأنا - فى مراهقته بتغيرات جسده ونفسه وشعوره و فكره ؟ !

بلى ! وهو اليوم يفجؤنا كذلك بما يجد من شؤونه ! ولكنه ليس كما هو فى حس نفسه - كائناً جديداً كل الجدة هبط اللحظة من السماء ! ذلك أنه يعى أحواله - عن كثب - لأول مرة ، أما نحن فنعى أحواله - عن كثب - منذ هو فى « اللغة » وليد !

و مع ذلك فكمية التغير التى نلحظها ضخمة و هائلة ، و إن كانت كما قلنا من قبل لاتتعلق باضافة عناصر جديدة لم يكن لها وجود من قبل بقدر ما تتعلق بالزيادة و البروز فيما هو كائن من قبل بالفعل .

فأما الشاب فقد بدأت عضلاته تبرز، وبدأ هو كذلك يهتم بابراز عضلاته ، إنه يمارس ألواناً من الرياضة البدنية بغير ملل ، يصرف فيها جزءاً من طاقته الحيوية الفائضة ، و يستكمل بها فى ذات الوقت نموه الجسمى و قدراته الجسمية من رشاقة الحركة و التوازن و الصلابة و الاحتمال .

و تختلف الميول الرياضية كثيراً من شاب إلى آخر ، فهذا يحب كرة القدم ، و هذا يحب كرة السلة ، و هذا يحب « العقلة » و « المتوازيين » وهذا يحب رفع الأثقال ، و هذا يحب ركوب الدراجة ، و هذا يحب ركوب الخيل ، و هذا يحب السباحة أو التجديف ، و لكن الأغلب أن تكون للشاب ممارسات رياضية مختلفة مع هواية محببة غالبة عليه .

ولا يمنع هذا من وجود حالات شاذة لا تميل إلى الرياضة لأسباب جسدية أو أسباب نفسية . .

فأما الأسباب الجسدية فقد تكون ضعفاً وراثياً أو مكتسباً نتيجة أمراض فى الطفولة ، تجعل الرياضة أمراً شاقاً أو مجهداً فينصرف الشاب عنها على رغبة فيها أو على عزوف .

و أما الأسباب النفسية فقد تكون انطواءاً و خجلا و خشية من الفشل أمام الآخرين ، أى نقصاً فى ثقة الولد بنفسه بصفة عامة ، و قد تكون اعتداءاً شديداً بالنفس و لكن فى اتجاه آخر ! فقد يخيل للفتى أنه عبقرى أو فيلسوف أو أديب أو فنان . . و أنه من أجل ذلك أرفع من أن يتميز بطاقته البدنية لأنه يتميز

بطاقته العقلية أوموهبته الفنية ! أو قد تستغرقه هذه الموهبة بالفعل فتأخذ وقته وجهده فينصرف عن الرياضة ، أو قد تكون له هواية عقلية كالشطرنج أو الورق يجلس إليها الساعات الطوال لا يتحرك فيتعود جسمه على السكون بدلا عن الحركة . أو قد تكون له مفاسد خلقية تشغله عن رياضته .

ثم إن مواهبه وا ستعداداته بدأت تبرز ، و بدأ هو يهتم بابرازها و التميز بها و محاولة التفوق بها على الآخرين .

و المواهب و الاستعدادات كثيرة و متنوعة ، فهذا ميال للآداب أو الفنون و هذا ميال للعلوم أو المهارة اليدوية ، هذا له قدرة على حفظ الشعر أو النصوص الأدبية أوله براعة أسلوبية نثرية أو شعرية ، و هذا رسام ماهر ، و هذا بارع فى حل المسائل الرياضية ، وهذا له ميول هندسية أو ميكانيكية . . إلخ . إلخ .

ولقد ظهرت هذه المواهب و الاستعدادات من قبل فى فترة المراهقة ولكنها كانت ما تزال طفلة ، أما اليوم فهى أبرز و أوضح ، و لها إنتاج ظاهر ، و على أساسها يختار الشاب حرفته المستقبلة ، سواء وفق فى دراسته للوصول إليها أم لم يوفق ، فهو يقول لنفسه : أريد أن أكون طبيباً أو مهندساً أو أديباً أو فناناً أو باحثاً اجتماعياً أو مؤرخاً . . أو فيلسوفاً ! و يحاول أن يختار الدراسة التى تناسب استعداداته و ميوله .

و فى حالات شاذة نادرة يحلم بالبطولة عن طريق الشر ، فيقول لنفسه : أريد أن أكون فتاكاً أو قاطع طريق أو عضواً فى عصابة من العصابات التى ترهب الناس .

ثم لقد نما نمواً نفسياً هائلا فى هذه الفترة .

لقد كان فى طفولتة مشغولا بنفسه يعيش فى محيطها ، و فى حدود عالم قريب محدود ، فطعامه و شرابه و إفرازاته و ملابسه و لعبـــه و أدواته هى المسائل الكبرى التى تشغله ، و التى يطلب من والديه أن يحققها له كلما أرادهـا أو رغب فيها ، و هو يتوقع من والديه أن يكونا تحت تصرفه دائماً كلما أرادهما أو أراد منهما أن يحققا له شيئاً من مطالبه المتوالية التى لا تكف وإن كانت محدودة النطاق .

ثم يكبر قليلا ، ويتسع عالمه قليلا ، و لكنـه ما زال ممركزاً حول نفسه ، فذاته هى مركز حياته و مركز اهتمامه . وأبواه ، و من حوله ، هم « الأدوات » التى يستخـدمها لتحقيق رغباته ، و يتوقع منهما أن يكونا دائمى التلبية لما يعن له من حاجات .

فاذا استقام على منهج التربية السليم فيستعود أن يضبط بعض رغباته ويسيطر عليها ، و لكنه ما زال يعيش ممركزاً حول ذاته لأن هذا طابع المرحلة الطبيعى الذى لابد أن يأخذ مجراه .

ثم يكبر أكثر ، و يتسع عالمه أكثر ، فيتعرف على وجوه جديدة غير الوالدين ، و أماكن جديدة غير المنزل و تنشأ بينـه و بين بعض الناس و بعض الأماكن صـــداقات ، و يطلب من والديه أن يخرجا به خارج المنزل ليرى شيئاً معيناً مما أصبح يحبه أو يلتقى بأشخاص معينين صغار أو كبار يكون قد تعلق بهم . . و لكنه ما زال فى ذلك كله مركز الاهتمام حول ذاته قبل كل شئ .

ومنهج التربية السليم يعوده شيئاً فشيئاً أن يخرج من دائرة ذاته ، فيعطى من لعبه و من حلواه لأطفال غيره ، و يتعاون معهم فى اللعب ، و يتعود أن يأخـذ منهم و يعطى ، كما يعوده أن يلتزم آداباً معينة تجاه الآخرين تخرج من دائرة ذاته إلى تعود احترام الآخرين ، فيتعود أن يحس بوجود ذوات أخرى غير ذاته ، فيخف تدريجياً تعلقه بذاته .

و كل ذلك واجب على المربى ، و لكنه يؤتى ثماره على المـدى ، و يظل طابع الطفولة هو التمركز حول الذات .

ثم تجئ فترة المراهقة فيحدث فيها نمو نفسانى ملحوظ .

إن المراهق أيضاً ممركز حول ذاته ، و لكن على طريقة أخرى غير طريقة الطفل ، ثم إنه - مع اهتمامه الشديد بذاته ، و رغبته الشديدة فى أن يظل معلقاً به ، فان له مشاعر كثيرة يتوجه بها نحو الآخرين ، و يهتم فيها بأشخاصهم .

إن الطفل - فى تمركزه حول نفسه - يظل يستخدم الآخرين لتحقيق طلباته لأنه بطبيعة الحال لا يملك أن يلبى لنفسه كل ما يريد من حاجات و إن ربى تربية استقلالية وعود منذ صغره الاعتماد على نفسه . أما المراهق فانه - فى تمركزه حول نفسه - يريد أن يثبت وجوده ، يريد أن يهتم الناس به لما يفعله هو ، لا بما يفعله الآخرون له ! إنه - فى خياله أو فى وهمه - بطل ! إنه خارق القدرة ! إنه حدث تاريخى ! وهو يريد من الناس أن يعرفوا بطولته الفائقة هذه ويقروا بها ! ولذلك فهو يحاول لفت نظرهم دائماً بما يأتى من الأعمال التى يراها خارقة و غير مسبوقة !

ومن جانب آخر فان خط « الغيرية » قد نما فى نفسه ، وله تعلقات بالآخرين من جنسه أو من الجنس الآخر (١) يعطى فيها نفسه بكاملها ، و يجد متعة كاملة فى ذلك الأمر .

(١) فى الحالات العادية لا تقوم « علاقات » حقيقية مع الجنس الآخر ، بقدر ما توجد « اهتمامات » خيالية حالمة ، و إن كانت الجاهلية المعاصرة تنشئ العلاقات السوية و الشاذة منذ أيام المراهقة الأولى حرصاً منهما على أكبر قدر من الفساد فى الأرض !

و قد يبدو الأمر لأول وهلة متناقضاً ، فكيف يكون متمركزاً حول ذاته ، وكيف يعطى نفسه للآخرين فى ذات الوقت ؟

أما مظهر التناقض - بصفة عامة - فهو من سمات مرحلة المراهقة ! و لكنه ليس تناقضاً فى الحقيقة ، إنما هو تقلب سريع من خيط من خيوط النفس إلى خيط آخر ، أو من وجهة إلى وجهة أخرى ، فيبدو المراهق متناقضاً فى ظاهر الأمر ، و حقيقته أنه يتقلب بسرعة بين مجموعة من الاتجاهات الطبيعية فى النفس البشرية ، كأنما يتدرب - فى هذه الفورة - على استخدام جميع الاتجاهات ، فيذهب هنا لحظة و يذهب هناك فى اللحظة التالية .

و التربية السليمة تحد من غلواء المراهقة ، و تعلم المراهق ضبط انفعالاته و أحاسيسه ، فتخف حدة التقلب السريع ، فيبدو أقل تناقضاً حين ينتقل من خيط إلى خيط ، أو من اتجاه إلى اتجاه .

إنما الذى نشير إليه هنا أنه قد يعطى نفسه للآخرين و هو ما زال متمركزاً حول ذاته ! إذ أنه - فى خيالاته الحالمة - يزداد إحساساً بعظمة نفسه كلما أعطى نفسه للآخرين ! فهو محب مثالى ، و وفى مثالى ، ومخلص مثالى ، ومهذب مثالى ، إلخ ، و كلما ازداد فى خصلة من هؤلاء ازداد شعوراً بأنه عظيم !

و التربية السليمة ينبغى أن تفصل بين الأمرين ، و تجعل الحب و الوفاء و الاخلاص و الصدق و الأمانة والاستقامة والتهذيب . . إلخ ، قيماً قائمة بذاتها ، تحترم من أجل ذاتها لا من أجل استشعار العظمة الذاتية فى أدائها ، و ذلك يجعلها لله . و حين تكون لله ينتفى عنها الرياء . الذى يشمل إعجاب الانسان بنفسه .

و لا شك أن المراهق المسلم شئ آخر مختلف كثيراً عن المراهق الجاهلى ، فى هذه النقطة و فى غيرها من النقاط كما بينا فى الفصل السابق ، و لكن ليس فى

الامكان - و لا فى المصلحة - قتل الشعور بالذات فى هذه المرحلة . و لا كذلك فى أى مرحلة أخرى . . إنما ينبغى تهذيب هذا الشعور بما بينا من منهج التربية الاسلامية و ما سنبين فيما بعد . .

أما الفترة التى نحن بصددها فقد حدث فيها نمو نفسى هائل .

لم يعد الفتى ممركزاً حول ذاته بالصورة التى كان عليها فى الطفولة وفى المراهقة إنما صار خط « الغيرية » واضحاً و بارزاً فى نفسه و فى حياته .

لم يفقد إحساسه بذاته ، و ليس من المصلحة أن يحدث ذلك .

و لكن انظر إلى اهتماماته .

لقد كان المراهق مهتماً بالغير . . ولكن من كان أولئك الغير؟ إنهم أشخاص محدودون يتعلق بهم ولاؤه وحبه وعواطفه . أما المجتمع . . أما المجموع البشرى . فأشباح من بعيد لم تتبين ملامحها فى جسه بعد :

أما الشباب فقد اقترب من الصورة أو اقتربت منه الصورة حتى صارت فى البؤرة و صارت محل التركيز .

إنه اليوم مشغول بالمجتمع من حوله ، ومشغول بالبشرية . مشغول « بالغير » !

ما سبب تعاسة الناس فى الأرض ؟ ما سبب ما يقع على البشر من مظالم ؟

هل السبب كامن فى الناس أنفسهم ؟ أم فى حكامهم ؟ أم فى النظم السائدة بينهم ؟

و من أين يبدأ الاصلاح و التغيير لازالة الظلم و شقاء فى المجتمع القريب أو فى البشرية كلها على السواء : يبدأ من إصلاح الناس ، أو إصلاح الحكام ، أو إصلاح النظم ؟

و ما طريق الاصلاح لهؤلاء أو هؤلاء أو تلك ؟ و ما المبادىء التى يقوم عليها الاصلاح ؟ .

و من - من الجماعات أو الهيئات أو الأحزاب أو التكتلات - هو أقومها مبادىء ، و أقومها طريقة ، و أقربها إلى تحقيق الاصلاح المنشود ؟

ومن هذا الخيط يسعى الشباب من جانبه إلى « الانتماء » ، و تتسارع الجماعات و الهيئات و الأحزاب و التكتلات إلى جذب الشباب إليها من هذا الخيط ، لأنها تعلم وجوده ، وتستغل وجوده ، ثم تمضى بالشباب بعد ذلك فى طريق الهدى أو فى طريق الضلال . فى طريق الله أو فى طريق الشيطان . وما أقل فيها من يتجه إلى الله ، وما أكثر من يتجه إلى الشيطان ، والشباب فى الحالتين منقاد باخلاصه الذاتى لمن يظن أنه على يديهم يتم الخلاص . . ويبيت ويحلم « بالبطولة » عن هذا الطريق .

و تصل مشاعر الشباب فى هذه الأمور إلى درجة الحماسة المتوقدة و إلى درجة الفدائية و التضحية بالنفس فى سبيل ما يرى أنه الحق . و تستغل الهيئات والدول هذه المشاعر لما تريد تحقيقه من خير حقيق أو خير مزيف أو شر صريح ! فتجند طاقة الشاب حماسته وفدائيته فى الطريق الذى تريد ، فيسخو الشباب بما يرادمنه من جهد أو مال أو تعرض للخطر أو بذل للدماء ومن أجل هذا تستكثر التكتلات الحركية من الشباب بين أعضائها ، و من ذلك تجند الدول جيوشها من الشباب .

و إذا كانت هذه الصورة العامة ، فلا ينفى ذلك وجود حالات شاذة نادرة ينحرف فيها إحساس الشباب « بالغير » إلى بغض و كراهيـــة ، أو متعة مريضة و تلذذ بالشر و الايذاء ، فيجند الشباب ولائه وجهده و فدائيته لعصـــابات القتل و السلب و النهب و الاعتداء على الأموال و الأنفس و الأعراض . . و يجـــد « بطولته » فى هذا الطريق !

و ينمو الشباب عاطفياً كذلك .

لقد كان فى مراهقته يتخذ أصدقاء يلعب معهم حيناً و يلهو ، و يستذكر معهم

أحياناً « جماعات » صغيرة تقوم ببعض ألوان النشاط . ثم كانت له « اهتمامات » بالجنس الآخر (١) .

أما اليوم فقد اتسع مجال عواطفه و تضاعف . .

إن له اليوم أصدقاء قد يصطفى من بينهم واحداً أو أكثر يلازمه ويستخلصه لنفسه و يفضى إليه بذات نفسه وأسراره ولكنه مع ذلك قادر على منح صداقته و زمالته لعدد واسع من الناس . و من هنا يمكن أن يحس بالزمالة لفرقة كاملة من فرق الدراسة - و خاصة الدراسة الجامعية - بينما كان فى مراهقته لا يصادق من فرقتـــه إلا أفراداً معينين . و يستطيع أن يحس بالزمالة لفريق رياضى كامل ، أو بمجموعة كبيرة من البشر فى الهيئة أو الجماعة أو الحزب أو التكتل الذى ينتمى إليه . و تظل هذه الزمالة أو الصداقة تتعمق على مدى الأيام ، و منها ما يبقى إلى نهاية العمر ، بينما كانت زمالات المراهقة موقوتة سرعان ما تفرقها الأحداث !

ثم إن له عواطف اجتماعية ، و أخرى إنسانية

عواطف موجهة إلى المجتمع الذى يعيش فيه . . إلى مجموع النـــاس فى هذا المجتمع لا إلى أعيانهم و لا أشخـــاص معينين منهم . يحس نحوهم برابطة ما . رابطة معنوية و لكنها عميقة و قوية ، تأخذ شكل « المفهوم » الذى يعيش به ، سوياً كان هذا المفهوم أو غير سوى ، فتأخذ شكل أخوة فى الله . أو شكل رابطة وطنيـة ، أو قومية ، أو عرقية ، أو لغوية . . أو ما يكون من أنواع الروابط بين الناس .

(١) نتحدث هنا - كما سبق القول - عن اتجاهات الفطرة الطبيعية ، لا عن انحرافات الجاهلية . و الجاهلية المعاصرة بسلوكها الواقعى و صحافتها و إذاعتها و تلفزيونها و أفلامها و برامجها التمثيلية هى أشد جاهليات التاريخ انغماساً فى الفساد الخلقى و أكثرها ليّاً للفطرة عن طريقها الصحيح .

و عواطف موجهة إلى الانسانية . . إلى المجموع البشرى بصرف النظر عن الأقوام و الأجناس و اللغات و الألوان . . يجب أن يتعرف إليهم ، و يجب أن يتعاون معهم على الخير . .

و لا ينفى هذا بطبيعة الحال أن تكون هناك عواطف مضادة . فالحب والكره خطان أصيلان من خطوط الفطرة . و الفطرة السوية تكره كما أنها تحب . تكره الشر و الباطل و تكره الشريرين و المبطلين .

و لكن بصرف النظر عن البيئة التى تحيط بالشاب و المفاهيم التى يعيشها - و نحن حتى الآن نتحدث عن « الشاب » بصفة عامة ولم نتحدث بعد عن « الشاب المسلم » و لا عن دور التربية الاسلامية فى تربية الشباب - بصرف النظر عن ذلك كله - فان وجود المشاعر « الانسانية » و عواطف المودة و الحب « للجموع » الذى لا يراه الانسان رؤية مباشرة ولكنه يتجه إليه بعواطفه . لا ينفى كل ذلك أن تكون هناك عواطف كره و عداء ، على نفس الدرجة من الحماسة و العمق ، لفئات معينة داخل المجتمع ، أو كتل معينة من مجموع البشرية . .

و الهيئات و الجماعات و الأحزاب و التكتلات ، و الدول كذلك ، تستغل مشاعر الكره كما تستغل مشاعر الحب ، و تجندها لحسابها ، و تصل بها إلى تحقيق أهدافها ، سواء كانت أهداف خير أو شر . و قليلا ما تكون للخير ، و ما أكثر أن تكون للشر ، و ما أكثر الحروب و الصراعات الباطلة فى حياة البشرية ، التى يقودها أفراد و هيئات و حكومات ذات مصالح معينة . . و وقودها الشباب !

و من بين العواطف التى نمت ما يتصل بالجنس الآخر .

لقد كانت اهتمامات بالجنس الآخر فى فترة المراهقة ، و أحلام و خيالات ، و قد تستمر هذه الرؤى المسحورة فترة من الوقت دون ارتباط معين . و قد

ترسم هالات سحرية حول وجه معين لا مزية له فى نظر الآخرين ، و لا فى نظره هو نفسه حين يأخذ فى شئ من النضج فيما بعد ، و لكنه فى تلك الفترة يضفى من خياله المسحور على كل شئ حوله فتبدو الأشياء العادية كأنها أطياف من عالم مسحور !

و فى مبدأ من الفترة التى نتحدث عنها تكون فى نفسه بقية من هذا الخيال المسحور تشكل عواطفه نحو الجنس الآخر . و لكنها - تدريجياً - تأخذ صوراً أكثر تحديداً و أكثر واقعية .

إن هذه الفترة - فى الفطرة السوية - هى فترة البحث الجاد عن شريكة الحياة

و فى غير الجاهلية المعاصرة كان الناس يستجيبون لدافع الفطرة السوية ، فيتم الزواج بالفعل فى فترة الشباب الباكر ، و يتم النضج و الشباب متزوج بالفعل ، كما يتم و هو مؤهل تأهيلا علمياً و عملياً بالفعل ، تكون تجربة الزواج من التجارب المؤهلة لتمام النضج .

ولكن الجاهلية المعاصرة - لأمور كثيرة تراد - أبطلت ذلك كله ، وأحدثت واقعاً اقتصادياً و اجتماعياً لا ييسر الزواج المبكر بل يضع أمامه كل العراقيل كما قال « ول ديورانت » فيما نقلناه عنه من قبل ، فى ذات الوقت الذى تيسر فيه كل أنواع الفاحشة وتصبح هى الأصل فى حياة الناس ! ثم تصاغ حول هذا الواقع نظريات وأفكار زائفة لتبريره وتثبيته وتزيينه لكى لا يرجع الناس عنه ولا يفيئوا إلى فطرتهم السوية !

فأما الواقع فهو تعجيز الشباب عن الكسب المؤهل للزواج حتى فترة متأخرة من العمر ، و تصعيب الحياة و تكثير مطالبها ، و رفع أسعارها حتى تصبح حاجزاً يصعب تخطيه أو يستحيل تخطيه !

و أما النظريات و الأفكار فتقول إن الشباب ينبغى أن ينضج أولا قبل أن

يتزوج لكى يستقر زواجه فيما بعد ، و لا ينضج حتى تكون له على علاقات جنسية كاملة واقعية ينضج من خلالها ، ثم يتزوج بعد ذلك إن أراد ! .

و من ثم تتحول فترة الشباب الباكر فى هـذه الجاهلية إلى فترة من البعث الماجن الذى لا تحـده حدود . ثم تؤلف كتب فى التربية و علم النفس تقول إن هذه الفترة فترة يتجه فيها كل من الجنسين إلى إقامة علاقات « واقعية » مع الجنس الآخر للتعرف عليه تمهداً للزواج والاستقرار الذى يأتى فى مرحلة متأخرة فيما بعد ، و إنه لا بد من وجود هذه العلاقات و إتاحتها لكى لا يحدث الكبت و اضطراب الأعصاب . و إن الحالات التى لا تقوم فيها مثل هذه العلاقات تعتبر حالات شاذة تحتاج إلى علاج ! ثم تقوم العيادات النفسية بتكملة الحلقة ، فتنصح الزائرين والزائرات من الشبان و الفتيات أن يقيموا علاقات تذهب عن نفوسهم الحزن و ترفع الكبت و تطلق الشحنة الحبيسة فى الأعصاب ! .

و تعلم الجاهلية فى سريرة نفسها - أو يعلم الشياطين الذين يخططون لها - أن هذه كلها أمور مفتعلة و حجج غير حقيقية !

فهناك شباب - غير قليل - فى تلك المجتمعـات المتفسخة ، ينشئ علاقات « مستقرة » أى تقوم فيها معاشرة كمعاشرة الأزواج ، ينجم عنها بنون و بنـات و تؤجر لها المساكن و يشترى لها الأثاث .. ثم يتزوجون ! ! فليست الامكانيات المادية إذن هى التى تنقصهم ، ولا هى ضرورة النضج قبل الاستقرار ، إنما هى الرغبة المجنونة فى معصية الله و اتباع الشيطان ! .

ثم إن العلاقات الزوجية التى تنشأ بعد فترة العبث الماجن فى الشباب الباكر لم تثبت حتى الآن أنها علاقات مستقرة و ناضجة ، بل الثابت من الاحصاءات أنه كلما أمعن الشباب فى « التجربة » بحثاً عن النضج المزعوم و الاستقرار ، زادت

نسبة الطلاق بعد الزواج ، و زادت البيوت المهجورة التى هجرها الزوج أو الزوجة بحثاً عن « تجربة » جديدة ! .

و نضرب صفحاً عن الجاهلية و ما تفتعله و ما تفعله ، و نعود إلى عواطف الجنس فى الفطره ، فنقول إن هذه الفتره هى فترة البحث الجاد عن شريكة الحياة .

فلم تعد المسألة مجرد أحلام مسحورة و هيام و خيالات . إنما هى عواطف واقعية تتجه إلى شخصية محددة . أو هو بحث واقعى عن شخصية محدودة تتوفر فيها شروط معينة تتلاءم مع المفهوم الذى يعيش الشاب به ، والصورة التى يريد تحقيقها، و لا يمنع هذا من وجود الرؤى المسحورة التى تصنع الهالات حول شخصية معينة قد تبدو فى نظر الآخرين عادية بغير هالات. فهذا من طبيعة تلك الفترة من العمر عند بعض الناس على الأقل ، الذين يلعب الخيال و الفن دوراً فى حياتهم ، و هو من دوافع الفطرة الطبيعية التى أودعها الله فى كيان الانسان لتحدث التلاحم المطلوب بين شتى النفس الانسانية : « و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودة و رحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (١) إنما الفارق بين هذه العواطف و عواطف المراهقة أنها هنـا واقع تحفه الأحلام وهى هناك أحلام بغير واقع حقيقى ولا هدف واقعى ، ولا سعى جدى إلى غاية محددة .

(١) سورة الروم (٢١) .

للبحث صلة

الدّعوة الإسلاميّة

الموافقون للدعوة

الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى

تعريب : الأستاذ نور عالم الندوى

أما الذين يوافقون الدعوة فهم ثلاثة أصناف من الناس الناس كالمعارضين تماماً :

١- السابقون الأولون .

٢- المتبعون باحسان .

٣- الضفاء و المنافقون .

و سنسلط الضوء - باذن الله - على خصائص كل من هذه الطبقات الثلاث.

- السابقون الأولون

السابقون الأولون يفوزون بأكبر مركز على الاطلاق بالنسبة إلى جميع الموافقين للدعوة ، و أعنى بالسابقين الأولين تلك الطبقة التى تلبى الدعوة فور بروزها ، و تنهض للتفانى فى سبيلها دون نظر إلى العواقب ، و تلك هى طائفة من الناس تشعر من قبل ظهور الدعوة بقريب مما يدعو إليه الداعية الحق ، وتبلغ من سموها الخلقى إلى أنها لاتقتنع بظواهر الكون ، بل تتفطن للاشارات المضمرة فى تضاعيف الكون ، و لا تعير الأهمية الحقيقية إلا هذه الحقائق المختفية عن أعين الناس و لا تقدر الظاهر هذا التقدير الزائد ، و لا تكون عبيد الأهوا و النفس ، بل تعرف لمقتضيات العقل و الطبيعة قيمتها وفضلها ، وتقدمها على كل شئ فى كل مرحلة

من مراحل حياتها ، و لا تدعها قوتها العقلية الفعالة أن تبقى مقيدة بأغلال التقاليد و الأعراف الموروثة القديمة التى كان يتبعها آباؤها و أجدادها ، و لا تحب أن تبقى مسلوبة الارادة أمامها ، بل تحاول أن تعرف فى كل الأمور خيرها وشرها ، فتختبرها فى ضوء العقل و الادراك ، فيفرق بين الغث والسمين و القشر واللباب ، و لا تقبل منها إلا ما كان منسجماً مع العقل و الفطرة ، و تكون مجردة من العصبية الحزبية و الجماعية ، فهى لا ترى الحق وقفاً على شخصية من الشخصيات و لا منوطاً بطبقة من الطبقات ، و لا متوارثاً كالضيعة و العقار و المال والمتاع ، فلا تحكم - فيما يتصل برفض شئ أو قبوله - إلا العقل و الطبيعة ، و كفى ، ثم لا تبالى بمن يخالفها أو يعارضها ، و لا تخضع للماضى ، و لا تذعن للحاضر ، و لا تؤمن لأحد - سوى الرسل و الأنبياء - بأن يكون حجة بنفسه ودليلا بذاته .

وكذلك فأصحاب هذه الطبقة يكونون على جانب عظيم من قوة العمل والأخلاق و السلوك ، فاذا ما أبان لهم عقلهم حقيقة شئ ، ففى الوقت ذاته تحملهم الجرامة الخلقية أن يؤمنوا به و يحتضنوه ، و ينهضوا لمواجهة كل خطر فى سبيله ، و إنهم دقيقو الشعور فى تأييد الحق ، فلا يمكنهم أن يروا الحق مظلوماً مطروداً ، و لا ترق له قلوبهم و لا تحدب عليهم نفوسهم ، و إنهم يبادرون إلى المساهمة فى كل عمل فى حياتهم يرون فيه سعادة اجتماعية ومصلحة جماعية ، وتأبى غيرتهم أن يروا الناس يتفانون فى سبيل الحق ، و يتلقون المصائب ألواناً و أشكالا فى طريق خدمته ، ويضحون من أجله بالمهج والأرواح ، تأبى أن يمروا مرور المتفرج الصامت الوادع أويكتفوا بكلمة أوكلمات تحبيذ وتشجيع ، بل ينهضون بدورهم ليقوموا بمحاولة بتحقيقه و تصعيده ، و ينافسون فى تقديم أكبر تضحية فى هذه السبيل ، إنهم يحاولون أن يعيشوا حياة طهر وصفاء مهما كانت البيئة فاسدة ، والمجتمع متلوثاً ، و يتصارعون

دائماً - من أجل ذلك - مع الجاهلية المعاصرة و يأخذون بالعدل فى مجتمع كله ظلم و جور ، و يؤدون حقوق اليتامى ، و يربون بنات الآباء الظالمين القساة على حسابهم و يخدمون الأرامل فى مجتمع يغمط حقوق اليتامى ، ويشد البنات ، و لا يفكر فى العطف على الأرامل و العجزة ، و يمثلون مكارم الأخلاق ، و يأخذون بالكرم و خدمة الخلق ، و قرى الضيف و الحدب على الفقراء ، وحماية المظلوم على حين يتفاخر الناس بادمانهم للخمر ، و الزناء ، و السرقة ، و النهب والغارة ، و قطع الطريق . . و لا يعرفون الاسكتبار ، بل يخضعون للحق حيثما وجد ، ولا يعرفون الحسد ، بل يتنافسون فى سبيل الحق ، ويتصفون بالايثار وخدمة الخلق ، دون النفعية والانتهازية ، و يرون دناءة ليس بعدها دناءة أن يرى الانسان فى نظام أنه حق ، ثم يتحرج من مناصرته بمجرد أن ذلك يحرمه لذة الحياة ، و يحوجه إلى أن يضحى بطيب العيش و نعومة الحياة ، و كذلك فيعتبرون رذالة لا رذالة بعدها أن يرى الانسان أن هذا الشئ مثلا باطل ثم يلازمه ولا يبرحه ، لأن فيه مصلحته ، و إن رجولتهم و مروءتهم تأبيان أن لا يقفوا بجانب الحق بمجرد أن ذلك يسبب لهم خسارة ، أو لأن الباطل قوى لا يمكن إخضاعه و تطويعه ، أو لأن الأوضاع معادية ، فالصدع بالحق نذير خطر كبير ومصيبة عظيمة . وأمثال هذه الوساوس لا تساور نفوسهم الأبية الجريئة ، و إن شعروا بشئ من ذلك ، فان همتهم القوية تقضى عليه و تحملهم على استئناف العمل ، الذى تنادى به أعماق قلوبهم .

و مثل هذه الطبقة الطيبة توجد فى عهد كل جاهلية ، و تلمع فى الظلمة المطبقة لمعان اليراعة فى الليلة المظلمة المطيرة ، وبفضلها و أجلها يظل بريق من

النور يعمل عمله ، لكن قواها متناثرة ليست بمجتمعة ، فيحتاج إلى من يوحدها و يؤلف منها وحدة متماسكة متعاونة .

إلا أنهم - على الرغم من هذه المزايا الكثيرة التى يتحلون بها و الكفاءات التى يتمتعون بها - يحتاجون إلى الداعية الحق لأمرين :

أولا : لأن الحق لا يوجد - عند ذاك فى صورته الكاملة ، و إنما يوجد بعض أجزائه ، كما يوجد فى الفترة ما بين نبى ونبى ، و تعانى هذه الطبقة الصالحة فى هـذه الفترة ضعفاً و عجزاً و قلقاً ، إنهم يتألمون من الفساد الذى يخيم العالم حينذاك ، و لكن لايتوصلون إلى طريق الاصلاح ، ويتفادون بأنفسهم - إلى حد ممكن - من الانغماس فى أوحال الفساد ، لكنهم لايجدون طريقاً محدداً إلى السعادة و الصلاح ، فضلا عن أن يدعوا الآخرين إلى السير عليه ، إنهم يشعرون شعوراً قوياً أن العبادة لا يستحقها إلا الله الواحد القهار ، و لكنهم لا يعرفون - و لا يجدون وسيلة يعرفون بها - طريقة عبادة الله و طاعته ، و أمثال هؤلاء هم الذين كرهوا دين قريش الجاهلى قبل بعثة النبى ﷺ ، وعادوا يعبدون الله على ما أوحى إليهم عقولهم ، و يسند بعضهم (١) ظهره إلى الكعبة ، و يقول فى صوت تمده الحسرة و الأسف : « اللهم لو أنى أعلم أى الوجوه أحب إليك عبـدتك به ، و لكنى لا أعلمه » ثم يسجد على راحته ، و كان منهم شعراء بارعون قد اختلفوا

(١) و هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى ، و الذين فارقوا دين قومهم فى الجاهلية هم أربعة نفر : ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى ، و عبد الله بن جحش بن رئاب ، و عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، راجع سيرة ابن هشام ، الجزء الأول ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ (المترجم) .

فى منهجم الشعرى عن منهج الشعراء المعاصرين الخليع المتهتك اختلافاً ملموساً ، حتى قد أثنى عليهم النبى ﷺ حينما سمع شعرهم ، و كان فيهم خطبـاء مصاقع لا تزال خطباتهم مسجلة فى كتب السير و التاريخ ، و دراستها تدل على أنهم قرعوا أبواب الحقيقة لكنهم لم يتمكنوا من فتحها ، و قـد كان فيهم أشخاص يتصفون بغاية من الرجولة و المروءة و الجرامة الخلقية أمثال ورقة بن نوفل ، و عبد الله بن جحش و عثمان بن الحويرث ، و زيد بن نفيل ، الذين كانوا يقولون : « تعلموا والله ما قومكم على شئ ! لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ! ماحجر نطيف به ، لايسمع و لا يبصر و لا يضر و لا ينفع ! » و كانوا يبحثون عن الحق ، و لكن لا يجدونه لأنه لم يكن موجوداً فى صورته الكاملة ، فكانوا فى حاجـة إلى هاد يهديهم إلى الصراط المستقيم ، فما أن بعث النبى ﷺ ، و دعا دعوته ، إلا و التف حوله كل من كان يوجد عندئذ من أمثال هؤلاء المتطلعين إلى الحقيقة ، وبما أنهم كانوا يعيشون حنيناً إلى الحق ، فما لاقوا عنتاً فى سبيل معرفته ، بل إنهم كانوا يرون كل ما كان يعرضه النبى ﷺ صوت ضمائرهم ، ونداء قلوبهم ، ونجوى نفوسهم ، و كافية لديهم قدرة كافة على التمييز بين الكاذب و الصادق ، ولقد رأوا آيات باهرة على صدقه ﷺ فلم يترددوا فى تصديقه ، و لم يخطر ببالهم أنه يمكن أن يكذب و لو مرة واحدة ، فعرفوا نبوته بصدق صوته و وجهه الوضاء الذى كان فيه آيات لا تعد على صدقه وحقيته لمن كان له قلب وعقل ، فجعلوا ينادون : « ربنا سمعنا منادياً ينادى للايمان أن آمنوا ربـكم فآمنـا » (١) و بما أنهم يكونون على مرقب و تطلع إلى الحق ، فانهم عندما وجدوا الحق لم يثيروا حوله نقاشاً و لا جدالا ، بل إنهم وجدوا فى أنفسهم تلك الكيفيات التى يجدها

(١) آل عمران : ١٩٣

من يحظى بالاجتماع بعد مدة طويلة بقريب حبيب من أقربائه عمى عليه أثره :

«وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ، مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » (١) .

و ثانياً : لأن الحق و إن كان معروفاً لديهم ، و إن كانوا يعرفون متطلباته ولا يحتاجون للاطلاع على هذه المتطلبات إلى بعثة نبى أو إنزال كتاب ، ولكنهم لا يجدون قائداً ، يجمع قواهم المتناثرة ، و يوجهها إلى جهة واحدة صحيحة ، وذلك لأنه إذا كان المجتمع كله شراً وفساداً ، و قد خيمت عليه الجاهلية كالليل يمد رواقه و يرخى سدوله و يحيط العالم كله بظلام مكثف حالك ، لا يتجرأ الرجل العادى أن يتبادر إلى النهوض بقيادة القوافل وتوجيه الأمم ، لا شك أن المولعين بالزعامة و الامامة ينهضون لهداية الناس و إن كانوا على ضلالة عمياء ، أما الصالحون الذين يعرفون ما فى القيادة من خير وشر ، يحاولون إلى حد مستطاع أن لا يمنوا بهذه المسئولية العظيمة ، و يجعلهم ما يتصفون به من ورع و تقوى أن يكونوا عادلين منصفين فى تقدير أنفسهم و تقويمها ، و لو أخطأوا فى هذا التقدير ، ما يخطئون من أجل الانحياز إلى أنفسهم ، بل إنهم دائماً يقللون قيمة أنفسهم تواضعاً و إنكاراً للذات . وإن تقويم النفس أقل من الحقيقة من لوازم التقوى والورع و الاحتياط و يتهرب المتأهلون و الصالحون والأكفاء من الامارة والسيادة بمثل ما يرغب فيها الناقصون و غير الأكفاء ، و كلنا يعرف تفاصيل المحاولة التى بذلها كل من سيدنا عمر الفاروق رضى الله عنهما فى سبيل التحاشى عن مسئولية الخلافة و الامارة ، كما نعرف تفاصيل التطاحن و التحارب و التهالك - فيما بعد عهد الخلافة الراشدة - على الحكم - السلطة ، فيما بين غير الأكفاء و أولى الأهواء ، مما يدل دلالة واضحة

(١) المائدة : ١٨٣ .

على أن من يتصف بالورع و التقوى يحاول جهده أن يتقلد مسئولية القيادة أحد غيره ، و هذا الشعور بنفسه شعور نزيه ، لكن هذا الشعور له حد مرسوم ، فاذا ما تخطاه يتملك على أصحاب الصلاح شعور بالصلاح الفردى ، و هنالك يعود القيام بالمحاولة الجماعية من أجل إقامة الدين صعباً مستعصياً ، وهذا الوضع لا يقبله أولئك الرجال من عباد الله الذين يدركون أهمية مسؤلية الجهود الجماعية ، لأنهم يعرفون جيداً أن الصلاح الانفرادى ، و الجهود المبعثرة المبهمة لا تقدم فى القضية و لا تؤخر ، و لا تفى بالغرض ، و لا تؤدى مسئوليات الدين الحق ، و إذا ما يملك هنا الشعور على أحد قلبه وفكره ، حتى يعود لا يستطيع أن يخضعه و يخفف من غلوائه ، فهنالك ينهض على اسم الله و يدعو إلى القيام بالمحاولة من أجل إقامة الدين دعوة عامة .

وهذه الدعوة تجد آذاناً صاغية لدى كل من يكونون على استعداد لاستجابتها ، ولا يخاصمون الداعى على مناداته بالدعوة ، لأنهم يعلمون أن موعد هذه المناداة قد حان من ذى قبل ، ولا يحسدونه على كون قد حظى بهذه السعادة دونهم ، إنهم يشكرونه على أنه قام بالعمل الذى ظلوا يتقلبون على الفراش فى انتظار تحققه ، ولم ينشجعوا أن يقوموا ، ثم إنهم لا يفكرون فى أنه هل يستطيع أن يعمل غداً كما استطاعه اليوم أم لا ، بل يرجون أنه سيوفق أن يقوم بعمل الغد كما استطاع أن يقوم بعمل اليوم ، و إلا فان الله ، سيقيض عبداً من عباده يتولى المسئولية ، و يخلفه فى العمل ، على كل فأمثال هؤلاء الرجال الذين يتمتعون بحماس للحق و يفيضون باندفاع إلى إعلاء كلمة الحق من ذى قبل ، يجدون فى هذه الدعوة التى برزت شفاء عليلهم و إرواء غليلهم ، فيؤمنون بها دون تأجيل ، و يقبلون على إنجاحها و تصعيدها بكل حماس و نشاط .

و هذه الطبقة تضم أنواعاً و أخلاطاً من الناس ، من غنى و فقير ، وعالم و جاهل ، حضرى وقروى ، كبير وصغير ، رجل و امرأة ، و لكن لا يوجد فيها من كان وضيعاً قط فى الأخلاق والسلوك بل كل منهم يكون من ذى قبل على جانب عظيم من سمو الخلق و نزاهة السيرة ، و ذا شأن و مكان و اعتبار عند الناس ، و لا يحتاج الداعى من أجل أن يجمعهم و يحوزهم إلى أن ينفق جهداً كبيراً ، بل يتقاطرن إليه بأنفسهم من كل جانب ، و إذاً فان الداعى لا يبحث عنهم ولا يتتبعهم بل هم الذين يبحثون عن الداعى ، لأنهم هم العطشى فلا يفكرون قط فى أن يحضر لديهم النهر أو البحر ، بل هم الذين يجوبون الهضاب و الوهاد و السهول و الجبال و يصلون إلى العين الفائضة ، و يكاد زيتهم النظيف الصافى يضئ و لو لم تمسسه نار ، فما إن يجد مسة من الكبريت إلا و يشتعل . . ولا يبحثون عن المعجزات و خوارق العادات ، و لا عن الاسم و العنوان و الحسب و النسب ، و لا يثيرون حججاً و دلائل لا طائل تحتها ، و لا يثيرون جدالا و لا نقاشاً لا جدوى من ورائهما ، و إنما يهمهم أن ما يدعو إليه الداعى هو حق أم لا ، و يمثل ما يدعو إليه عملياً أم لا ، فاذا ما اقتنعوا بهذا الجانب ينقطعون إلى مناصرته و تأييده ، و لا يرفضون الحقيقة المتجلية اليوم نظراً إلى الأخطار الموهومة فى المستقبل ، لأنهم يؤمنون بأن العقل الذى ميز لهم اليوم بين الحق و الباطل ، سيظلون يملكونهم غداً للتمييز بينهما ، فاذا ما يرون أن الداعى قد انحرف عن جادة الحق ، يمكنهم أن يتركوه و شأنه ، و يسيروا على الصراط المستقيم .

٢- المتبعون باحسان

و الطبقة الثانية من المؤمنين بالدعوة الصادقة ، هى طبقة « المتبعين باحسان »

وأعنى بها أولئك الذين يرغبون فى الحق نظراً منهم إلى « السابقين الأولين » و لا يتساوون مع « السابقين » فى المستوى العقلى أو الأخلاقى ، و من ثم فلا يستطيعون أن يخطو خطوة جريئة بدافع من عند أنفسهم (Initiatiue) و يبادروا إلى السير على طريق جديد ، و لا يتمتعون بأهلية القيادة ، و لذلك فلا تؤثر فيهم قوة دعوة الحق العقلية والاستدلالية مثلما ما تؤثر فيهم جرامة السابقين إلى الايمان بالدعوة ، إنهم عند ما يرون أنه قد برزت هناك دعوة ، و قد تجرأ أناس فقبلوها ، و أصبحوا يجتهدون فى طريق التقدم بها و نشرها فى العالم ، و يجابهون الأخطار والأهوال فى طريقها ، فهذه المشاهد كلها تؤثر فى قلوبهم تأثيراً بالغاً ، فيعودون يختبرون همتهم وقوتهم من أجل أن يقفوا بجانبهم ، وتتوزعهم أهليات متفاوتة ، و عوائق متنوعة ، فيستغرق هذا الاختبار و الصراع بين الهمة و العوائق مدة لا بأس بها ، لكن صدأ قلوبهم يزول شيئاً فشيئاً عند ما يرون من الداعى همته التى لا تعرف الفتور ، و دأبه الذى لا تتخلله وقفة ، و صبره العجيب على المكاره و المشاق التى تواجه فى طريق مد الدعوة فينفصلون جميعاً أحداً إثر أحد من معسكرات الباطل إلى المعسكر الحق .

و هؤلاء و إن كانوا يقفون بجانب صف الدعوة بفعل السابقين الأولين ، لكنهم ينسجمون مع الدعوة كلياً كالسابقين ، فلا يلينون و لا يستكينون و لا يتزعزعون ، ولا ينافقون ، لأنهم خير أناس فى الطبقة الثانية ، وإن لم يكونوا فى الطبقة الأولى فى العقل والأخلاق ، يتأثرون بعض الشئ من الجاهلية المعاصرة بضعف إيمانهم و اعتدادهم بالنفس ، و لكن الشعور بالحق لا يموت عندهم كلياً ، فما داموا يشاركون النظام الباطل يشاركونه بكره من عند أنفسم و على غصص و مضض و يجدون حماساً للحق فى أعماق قلوبهم ، و تقززهم من الباطل يتراوح بين الخفة

و الشدة و لكنه لا يتلاشى ، لا شك أنهم لا يستطيعون أن يصارعوا مجتمعهم الفاسد و يغيروه ، فيظلون قانعين بالنظام الباطل ، و لكنهم يجدون فى طى هذه القناعة قلقاً و اضطراباً يبرز عند ما تبرز دعوة حق ، و إذا ما يطغى عليهم هذا القلق و التذمر ، يتشجعون ، و يأخذون الطريق الذى يرون عليها رجالا قد سبقوا إلى الحق ، و بما أنهم يدخلون الصف الاسلامى عفواً لا بضغط من أحد ، و بما أن خطوتهم هذه تكون وليدة الحمية لا المطامح و الأغراض الخافية فيمدهم رصيد من العزيمة و البصيرة اللتين تأخذان بأيديهم فى المراحل و المشكلات التى تواجهم ، فلا يتزعزعون مهما كانت المحنة قاسية .

ويحتاج الداعى - لكى يكسبهم إلى صفة - إلى أن يستخدم الحيلة و ينفق الجهد، لأنهم كما قلت آنفاً - لا يبلغون من المستوى العقلى إلى أن يتصور الحق كاملا دون أمثلة ونماذج عملية ومن المستوى الأخلاق إلى أن يبادروا إلى نصرة الحق وحيدين دون أنصار عن اليمين و عن الشمال ، و من أجل هذا الضعف العقلى يضطر الداعى إلى أن يعيش معهم وضع صراع إلى مدة لا بأس بها ، فأولا يحتاجون أن يجلى لهم الحق بكامل أجزائه حتى لا يبقى هناك غموض و التواء فى أى جانب من الجوانب ، و أن تزال الشكوك و الشبهات و التساؤلات التى تثور فى قلوبهم ، أو التى يبعثها أحد فى نفوسهم ، حتى تثبت قلوبهم على الدعوة عقلياً و على صدقها و حقيقتها ، ثم يحتاجون - بعد ذلك كله - إلى أن تكرر أمامهم أمثلة من العزيمة و الهمة ، حتى تتحرك العزيمة فى نفوسهم ، و تدفعهم إلى الأمام ، و هذه الأمثلة هى التى تقوى قلوبهم ، و تقضى على وضع التردد فى نفوسهم و تضىء لهم السير على الطريق الحق فى ملابسات مناوئة ، حتى تستيقظ ضمائرهم و تصحو عقولهم و يأخذون البدء فى السير على الطريق لو حالفهم التوفيق الالهى .

٣- الضعفاء و المنافقون

إنما وضعنا « الضعفاء » و « المنافقين » فى درجة واحدة بمجرد تشابه فى الظاهر بين الفئتين ، و إلا فانهما تختلفان اختلافاً واضحاً ، فى النية و الارادة ، و لذلك فسأ تحدث عن مزايا و خصائص كل منهم على حدة بالايجاز :

و المراد بـ « الضعفاء » أولئك الذين يؤمنون بالحق بعد الاقتناع بحقيته ، وينوون أن يقضوا حياتهم فى ضوء مقتضياته ، لكنهم - بضعف إرادتهم - يتمايلون فى الطريق و يعثرون ويسقطون و يقومون على الرغم من إخلاص نيتهم ، ولكن نهوضهم بعد كل عثرة إنما يكون من أجل السير على درب الحق و الصدق ، ولا يحدث أنهم إذا سقطوا ، لم ينهضوا ، و إذا نهضوا ، جروا على طريق الضلال ، إنهم دائماً يعترفون بتقصيرهم اعترافاً مصحوباً بالخجل و الندامة ، و يتداركون بالتوبة و الاستغفار ، و بما إنهم لا يفوقون من الناحية الارادية و العقلية و من حيث النية ، فان كثيراً منهم يقبل على الدعوة فى مستهلها ، و يفتضح ضعف إرادتة و نيته فى مواقع الامتحان و مناسبات التمحيص والاختبار ، و من هنالك فيحتاجون منذ البداية إلى النهاية إلى التربية و الاصلاح ، و إلى هؤلاء تشير الآية التالية من سورة التوبة :

« و آخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً و آخر سيئاً ، عسى أن يتوب عليهم ، إن الله غفور رحيم » (١) .

و تمس الحاجة - من أجل تربية الهمة و الاستقامة فى قلوبهم إلى البحث من أسباب الضعف الارادى لديهم ، ثم القضاء عليها ، فان كان ذلك يرجع إلى الضعف العقلى و النفسى ، يجب أن يعرفوا بصفات الله و قدرته ، و سننه

(١) التوبة : ١٠٢

فيمن يحبه و فيمن يغضب عليه ، و قوانينـــه فى السائرين على طريقـــه و فى المنحرفين عنه ، و إن كان يرجع إلى الطمع والجشع ، فليأت الاصلاح عن طريق ترغيبه فى الانفاق و تحبيبه إليه بتذكير فضائله ، وإن كان يرجع إلى كراهة الموت و حب الحياة ، و الخوف على النفس ، فليكن التركيز على الاكثار من حتميـــة الموت و كونه واقعاً لا مفر منه ، و من حسن العاقبـــة للأخيار و المؤمنين ، و هذه الطبقة لديها صلاحية الانتفاع بالتعليم و التربيـــة ، و لا يبرحون مكاناً واحداً ، و لا يلحون على الشر ، أجل يمكن أن تكون خطواتهم إلى الخير بطيئة و سيرهم متمهلا ، و فى شأنهم تقول الآية :

« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها ، و صل عليهم إن صلاتك سكن لهم ، و الله سميع عليم » (١) :

أما « المنافقون » فانهم يصاحبون الحق بألسنتهم ، ويصاحبون الباطل بقلوبهم و ربما ينحازون إلى الحق بانفعال عارض ، و تأثر طارىء ، ولكن ما إن يرون الصعوبات و المحن التى تلازم طريق الحق ، حتى يقلبون كفيهم على ما صنعوه من اللحوق بركب الحق ، و يودون أن يتراجعوا أدراجهم ، و يرجعوا على أعقابهم و لكن خجلهم الكاذب يجعلهم لا ينفصلون من الحق بل يظلون على ارتبـاط كاذب به و ربما يأتون إلى الحق و هم يضمرون الشر و المكيـــدة ، كى يبحثوا عن إمكانيات الافساد فى داخل المعسكر الحق ، و يتظاهرون بمؤاساة الحق و تأييده ، لكنهم فى الواقع عملاء لأعـــداء الحق ، و قد يهابون نفوذ الحق المتصاعـــد ، و غلبتها الباهرة . فيرتبطون به ارتباطاً ظاهراً خوفاً على مصالحهم المادية ، فهذه الأسباب و أمثالها تدفعهم إلى التظاهر بالاعتراف بالحق ، ويحاولون تغطية الحقيقة

(١) سورة التوبة الآية : ١٠٣

بحيلة و بأخرى ، لكن مكائدهم و استراتيجتهم الماكرة و أخطاءهم الفاحشة تشكف اللثام فى كل خطوة عن وجه الحقيقة .

و لا أضر لعمل الداعى من هذه الفئة ، فان الذين يظاهرون بالعـــداء ، و يكاشفون بالمحاربة لا تستطيع طائفة منهم أن تنال من الدعوة بمثل ما تستطيع هذه الفئة « المواسية » للحق ، فانها تفت فى ساعدها من داخل معسكرها ، وبلباقة فائقة فيبثون فى الناس أراجيف عن الدعوة ، و بما أنهم يثيرون هذه الشكوك وهم يتظاهرون بالاخلاص و المواساة و الحدب على الدعوة و الصداقة لها ، فيفتتن بها الناس ، ثم إنهم يتصدون دائماً لاحداث ثغرة فى الصف الاسلامى ، و يضنون بكل جذوة و يترقبون الفرصة لاشعالها و يتخذون فى داخل المعسكر جبهات من أجل تحقيق أغراض الأعداء و يتظاهرون بأنهم إنما اتخذوها من أجل خدمـــة الحق ، و يمالئون الأعداء على أساس العداء للحق و محاربته و الضرب على جـــذوره ، و يزعمون أن كل ذلك يصنعونه بدافع المواساة و العطف ، و يحبون حباً جماً كل ما يثبط همـــة أهل الحق ، و يطيبون نفساً باذاعته ، و بالعكس من ذلك يسوءهم كل شئ يشجع أبناء الحق ، و يشحذ إرادتهم ، و يتبـــدى لهم الخطر فى طريق الحق على كل خطوة ، فيحاولون أن يعظموا هول هذه الأخطار فى قلوب المسلمين بأسلوب المواساة الجماعية ، و يريدون أن يقضوا على روح التضحية و الايثار فى قلوب المؤمنين لكى يخفوا من خلاله على جشعهم و خستهم ، لا يأملون فى غلبة الحق و انكسار الباطل ، و لا يرون على « شاشة » المستقبل إلا المصائب والآلام و العقبات ، و بما أنهم لا يحملون رصيداً من العمل ، فيريدون أن يضعوا الستار على ضعفهم بالدعاوى الفارغة ، والأيمان الكاذبة ، والأحاديث المزورة ، وينظرون إلى كل نجاح تحرزه الدعوة نظرة حاسد متربص ، و لو ألمت بأهل الحق مصيبة ، يطيبون بها نفساً و يقرون بها عيناً ، و يثلجون بها صدراً .

و بما أن هذه الفئة تنشر الفساد عن تخطيط و دراسة ، و تعمد و إرادة فانها لا تحمل أى صلاحية لقبول الاصلاح ، و إنما يقبل الاصلاح منها من يقع فريسة المكيدة و يغتر بها من غفلة عارضة ، و مثل هذا ما إن يتكشف له الواقع و يفتضح عند الكذب حتى يتوب من خطئه و يفيق من سكرته ، و يصحو من سباته ، و يقبل على إصلاح سلوكه ، أما الذين يتخـذون الشر شعارهم و دثارهم ويفوقون فى « حرقتهم » ، فانهم يجعلون كل جهد فى سبيل الاصلاح هباءاً منثوراً و لا يرضون أن يقبلوا أدنى إصلاح و تغيير فى أسلوب حياتهم ، و على الداعى الحق أن يقف منهم موقفاً حاسماً صريحاً ، و يصون جماعـة الحق عن الفتنة التى يثيرونها ، فليبقهم فى ذاخل الجماعة ما دام يأمل أنه يستطيع يتخذ تعليمهم و تربيتهم ذريعة إلى تعليم الجماعة المؤمنة الحقة ، و تربيتها ، و ما إن تحقق هذا الغرض ، إلا و يفصلهم عن الجماعة ، حتى لا تعود بينها و بينهم صلة ما .

العلاج الصحيح للتخلص من الجاهلية العالميـة

الأستاذ عبد الكريم سليمان

كيف وضع الأستاذان الكبيران (الندوى - سيد قطب) العلاج الصحيح للخرج من الجاهلية العالمية ؟ إنها موضوع هام و خطير و قـد تخيلت حديثاً دار بينهما فى هذا المضمار بعد أن اتفقا على التشخيص الصحيح للداء ، ثم جلسا كالنطاسيين البارعين لكتـابة الدواء ، و الاشراف على إعطاء الجرعات المناسبـة للريض ، و الاستمرار فيه حتى تتم العملية ، و يلتئم الجرح ، و يتحصل المريض المناعة ضد المرض ، والوقاية من أى مرض جديد يتخلل ذلك فترة النقاهة ، ثم يتقدم ليتحمل مسئوليته وينفى شريعة الغاب ، و يثبت شريعة الله ، و يرفع لواء الحق « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله »

المكان : المسجد الحرام بمكة المكرمة .

الزمان : زمان انحطاط المسلمين ، و بعدهم عن الدين ، و جاهليـة القرن العشرين ، و التقدم نحو الرذيلة ، و البعد عن الفضيلة ، لأن الغايه تبرر الوسيلة .

المشهد الأول : المسلمون من كل أقطـار الأرض أجمعين فى شغف إلى المخرج من الضلال ، و المنقذ من الهلاك المحدق بهم من كل جانب ، متطلعين إلى هذين الطبيبين الاخصائيين ، الرافضين لأى أجور من أى مخلوق ، و السيدين المعظمين : القطب والندوى ، وترى الطبيبين و قد علا ما

الوقار و الصرامة و الابتسامة المحمـــدية ، ساعة يخفضـان اليراعة ، وساعة يبكيان ، و ساعة فى دعاء وطول الوقف فى الذكر والضراعة إلى المولى القدير . و فى ذات الوقت العالم كله يتطلع خلف الستار و هو الحاجز بين أهل الكفر و أهل الايمان .

المشهد الثانى : يطلب الطبيبان من الحاضرين أن يصلوا صلاة الحاجة ويستغفروا الله ثم الدعاء يتخلـــله البكاء و تنهمر الدموع من العيون لتحرق مخيمات الجاهلية ، و تبدد صرح الباطل ، و يسيطر على الجو كله الصفـــاء و النقاء ، و ينبذ الحقد و الكراهية ، ويعلو الهتاف فى نفس واحد من الجميع و بدون مقـــدمات « الله غايتنا ، و الرسول قائدنا ، و القرآن دستورنا ، و الموت فى سبيل الله من أسمى أمانينا ، والله أكبر و لله الحمد » ثم يسود الهدوء و تتجه الأنظار ، و لكن الطبيبين شاخصـان ببصريهما إلى السماء ، بالجلال الموقف و رهبته ، بالعظمة الاسلام و قوته ! وتزول كل الشكوك و المخاوف من قنابل أمريكا ، و صواريخ روسيا ، و طـائرات أوربا ، و لا يبقى إلا الايمان و اليقين بالله كاملا . . سبحان الله .

المشهد الثالث : يقول الطبيبان بلسان واحد بعـــد أن وقفا و توجها نحو المسلمين خاصة و نحو العالم عامة : الحمد لله و الصلاة و السلام على رسوله و من والاه ، الآن و نحن فى أقـــدس الأماكن على ظهر البسيطة و أنظار العالم كله متجهة إلينا ، و الكل يريد أن يعرف ماذا نصنع هنا ، فما علينا إلا أن نقول : « ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً » .

المشهد الرابع : قطب :

إننا دون شك نملك شيئاً جديداً جدة كاملة ، شيئاً لاتعرفه البشرية ، و لا تملك هى أن تتجه ، و لكن هذا الجديد لابد أن يتمثل فى واقع عملى ، لابد أن تعيش به أمة . و هذا يقتضى عمليـة بعث فى الرقعة الاسلامية ، هذا البعث الذى يتبعه - على مسافة ما بعيدة أو قريبة - تسلم قيادة البشرية ، فكيف تبدأ عملية البعث الاسلامى؟ إنه لابد من طليعة تعزم هذه العزمة ، وتمضى فى الطريق، تمضى فى خضم الجاهليـة الضاربة الأطناب فى أرجاء الأرض جميعاً ، تمضى و هى تزاول نوعاً من العزلة من جانب و نوعاً من الاتصـال من الجانب الآخر، بالجاهلية المحيطة . . ولابد لهذه الطليعة التى تعزم هذه العزمة من معالم تعرف منها طبيعة دورها و حقيقة وظيفتها وصلب غايتها ، ونقطة البدء فى الرحلة الطويلة ، كما تعرف منها طبيعة موقفها من هذه الجاهلية . أين تلتقى مع الناس أين تفترق ، ماخصائصها وما هى خصائص الجاهلية من حولها؟ كيف تخاطب أهل هذه الجاهلية بلغة الاسلام و فيم تخاطبها ، ثم تعرف من أين تلتقى فى هذا كله و كيف تلتقى؟ هذه المعالم لابد أن تقام من المصدر الأول للعقيدة . . القرآن . . . و من توجيهاته الأساسيـــة ، و من الصور الذى أنشأه فى نفوس الصفوة المختارة التى صنع الله بهـــا فى الأرض ما شاء أن يصنع ، و التى حولت خط سير التاريخ مرة إلى حيث شاء الله أن يسير .

النـــدوى :

إن الحل الوحيد هو تحول القيادة العالمية و انتقال دفـــة الحياة من

الد الأثيمة الخرقاء التى أساءت استعمالها إلى يد أخرى بريئة حاذقة ،
إن التحول المؤثر الواضح هو تحول من القيادة المادية و الجاهلية
إلى العالم الاسلامى الذى يقوده سيدنا محمد ﷺ برسالته الخالدة
و دينه الحكيم ، و العالم الاسلامى لا ينهض إلا برسالته التى وكلها
إليه سيدنا محمد ﷺ و الايمان بها و الاستماتة فى سبيلها ، و هى
رسالة قوية واضحة مشرقة لم يعرف العالم رسالة أعدل منها ولا أفضل
و لا أيمن للبشرية منها ، و هى نفس الرسالة التى حملها المسلمون فى
فتوحهم الأولى و التى لخصها أحد رسلهم فى مجلس يزدجرد ملك
إيران بقوله : إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى
عبادة الله وحده ، من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من جور الأديان
إلى عدل الاسلام ، رسالة خالدة لا تحتاج إلى تغيير كلمة و زيادة
حرف ، فهى منطبقة تمام الانطباق على القرن العشرين انطباقها على
القرن السادس المسيحى ، كأن الزمان قد استدار كهيئة يوم خرج
المسلمون من جزيرتهم لانقاذ العالم من براثن الوثنية و الجاهلية .

قطب : إن معركتنا هى معركة عقيدة و ليست شيئاً آخر على الاطلاق ،
و إن خصومنا لا ينقمون منا إلا الايمان ، و لا يسخطون منا إلا
العقيدة ، إنها ليست معركة سياسية و لا معركة اقتصادية ولا معركة
عنصرية ، ولو كانت شيئاً من هذا لسهل وقفها و سهل حل إشكالها
ولكنها فى صميمها معركة عقيدة ، إما كفر وإما إيمان . . إما جاهلية
و إما إسلام ، و لذلك فانه لابد من الطريق الذى يدعو الناس إلى
العقيدة الصحيحة حتى لو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين ، لأن القلوب

يجب أن تخلص أولا لله و تعلق عبوديتها له وحده بقبول شرعه
وحده و رفض كل شرع آخر غيره من ناحية المبدأ . . قبل أن
تخاطب بأى تفصيل عن ذلك الشرع يرغب الناس فيه ، وعلى هذا الفريق
أن يتحرك وفق منهج هذا الدين فى الحركة لأن المنهج فى الاسلام
يساوى الحقيقة و لا انفصام بينهما و كل منهج غريب لا يمكن أن
يحقق الاسلام فى النهاية .

الندوى : إن المسلمين اليوم بحاجة إلى فريق يتجرد عن المطامع و يخلص
للدعوة ، و يبتعد عن كل ما يوهم بأن همه الدنيا و المادة و التغلب
على الحكومة لنفسه وعشيرته أو حزبه ، يحل العقد النفسية والعقلية
التى أحدثتها الثقافة الغربية أو أخطأ رجال الدين أو سوء التفاهم
أوقلة الدراسة والابتعاد عن الاسلام و جوه بالمقابلات والصداقات
و المحادثات و المراسلات والرحلات و بالأدب الاسلامى الصالح
المؤثر و بالروابط الشخصية و بالنزاهة و علو الأخلاق و قوة
الشخصية و الزهد فى حطام الدنيا و العزوف عن الشهوات وتمثيل
أخلاق الأنبياء و خلفائهم ، هذا هو الفريق الذى خدم الاسلام فى
كل عصر ، لنكن كلنا هذا الفريق .

المشهد الخامس: قطب و الندوى فى صوت واحد :

مسلمون . . مسلمون . . مسلمون

المسجد الحرام يضج بما فيه و من فيه بقوة تهز العالم :

مسلمون . . مسلمون . . مسلمون

دراسات وأبحاث

مولانا رحمة الله الكيرانوى

و كتابه العظيم « إظهار الحق »

بقلم : سماحة الأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

يسعد كاتب هذه السطور أن يتحدث فى موضوع يتصل بعلم من أعلام هذه الأمة قيضه الله للذب عن حوزة الاسلام : « إظهار الحق » و « إزالة الشكوك » و « إزالة الأوهام » (١) حين كان الخوض فى هذا الموضوع مجازفة بالحياة ، ودعوة للموت الزؤام ، وأتى فى ذلك بحجج وبراهين لم يسبق إليها ، ولقى خصومه على يده من الهزيمة والانتكاس ما لم يلقوه من قبل ، وانتهت إليه الرئاسة فى هذا الفن ، فى القرن الرابع عشر الهجرى (القرن التاسع عشر المسيحى) و طبقت شهرته الآفاق ، و سلم له معاصروه و أقرانه وعلماء العالم الاسلامى ، بالأمانة والزعامة فى هذا الموضوع ، ألا وهو مولانا رحمة الله الكيرانوى مؤلف كتاب « إظهار الحق » و مؤسس المدرسة الصولتية بمكة المكرمة و دفين المعلاة (١٢٣٣هـ - ١٣٠٨هـ) .

مأثرة عظيمة تكفى للبلوغ به إلى درجة العلماء الخالدين ، والأبطال المجاهدين ،

---

(١) تلميح بأسماء مؤلفات العلامة الشيخ محمد رحمة الله الكيرانوى المكى الثلاثة الشهيرة ، وهى « إظهار الحق » و « إزالة الأوهام » و « إزالة الشكوك » و له كتاب رابع فى نفس الموضوع و هو « أصح الأحاديث فى إبطال التثليث » .

إنه وقف فى الدفاع عن الاسلام ، و تمحيص الحق و الباطل ، ودحض الشبهات ، و إعادة الثقة إلى نفوس المسلمين و رفع معنوياتهم ، و اعتزازهم بفضل دينهم على الأديان كلها ، و إعجاز كتابهم ، و خلود رسالة نبيهم ﷺ فى أحوال رهيبة ، و ساعات عصيبة ، و وقف فى وجه خصوم (١) كانوا ينتمون إلى الفاتحين الذين يتمتعون بأكبر سلطة و قوة فى ذلك العصر ، و حكومات قوية ، و مملكة لاتغرب فيها الشمس ، و مدنية زاهرة دافقة بالحياة و النشاط ، و كان هو بالعكس ينتمى إلى شعب (٢) جريح القلب و الجسم متحطم الأعصاب ، ضعيف الثقة بتراثه وأمجاده ، يعيش فى عزلة عن العالم ، ينظر إليه الانجليز كالمنافس الطبيعى الوحيد ، و الخطر الحقيقى على زحفهم وتقدمهم فى آسيا وأفريقيا بصفة عامة و فى شبه القارة الهندية بصفة خاصة ، وقد انتشر القسوس - النصارى الأوربيون و المتنصرون الهنود - فى مدن الهند وقراها بحماس زائد و نشاط كبير يدعون أنصاف المتعلمين و الأميين إلى دين الفاتحين الأقوياء الأغنياء ، الذى حالفهم الجد و واكبهم النصر فى كل ميدان ، وكفى بذلك دليلا على صدق الدين الذى يدينون به فى عيون الجهلاء الضعفاء .

وقد ضعفت معرفة علماء المسلمين - فضلا عن عوامهم ودهمائهم - بالنصرانية و مصادرها - بما فيها العهد القديم و الجديد و شروحهما و تفاسيرهما - و تاريخها و تطورها ، و ارتقاؤها و ما طرأ عليها من تغييرات و تحويلات ، و ما مر بها من أحداث و طوارىء ، و ما عبث بها من حكومات و مجامع ، كانوا فى شغل

(١) القساوسة الأوربيين

(٢) الشعب المسلم الهندى

شاغل بما كانوا يدرسونه من علوم دينية شرعية ، أو فنون عقلية يونانية (١) ، و بحوث كلامية و فقهية ، و تحقيقات تفسيرية و حديثية ، فكان هذا الزحف العلمى و العقائدى مفاجأة لعلماء المسلمين ، شبيهة بتبييت أو غارة فى ظلام الليل ، و كان الوقوف فى وجهها و مقاومتها تحتاج إلى شجاعة معنوية و حمية دينية متأججة و صبر طويل و همة عالية ، تحث على دراسة المسيحية من ينابيعها الأصيلة ، و استعراض واسع بما كتب عنها ، إثباتاً و نفياً ، و توثيقاً ومعارضة ، و نقداً و بحثاً ، وكان الذى يبدأ بهذه الرحلة الطويلة المضنية ليشعر بأنه سائر فى نفق طويل مظلم ، و كانت وسائل هذه الدراسة و موادها ، مفقودة أو نادرة ندوراً كبيراً ، و قد وضع أكثرها فى اللغات الأجنبية ، وكان من أقربها إلى علماء هذه البلاد - شبه القارة الهندية - اللغة الانجليزية و كانوا حديثى العهد بها ، و قد زهدهم فيها وكرهها إليهم ، أنها لغة الفاتحين المهينين لهم ، و لا يتوقع وجود هذه المصادر فى هذه البلاد ، لأن ذلك ينافى مصلحة الدعوة إلى النصرانية ويضعف موقف الدعاة إليها و يثير عليهم مشاكل جديدة فكانوا على إقصائها من هذه البلاد أحرص منهم على جلبها أو تزويد المكتبات بها .

(١) يستثنى من ذلك أفذاذ من أصحاب الاختصاص فى دراسة الديانات الأجنبية و الاطلاع على العهد القديم و الجديد ، من علماء أسرة حكيم الاسلام ولى الله الدهلوى الذين كانوا يدرسون التوراة و الانجيل مع ما يدرسونه من الكتب و الصحف ، والشواذ من علماء الهند المتبحرين أمثال العلامة السيد آل حسن الموهانى (م١٢٨٧هـ) صاحب كتاب (الاستفسار والاستبشار) و الشيخ عنايت رسول الجرياكوتى (م ١٣٢٠هـ) صاحب كتاب (البشرى) الذى درس اللغة العبرانية و أتقنها .

كل ذلك كان يعقد مهمة الشيخ رحمة الله و زملائه ، الذين وهبوا حياتهم للدفاع عن الاسلام ، و دحض الشبهات حوله و الوقوف بالقسوس و «المبشرين» - كما كانوا يسمون أنفسهم - فى موقف الدفاع بدل موقف الهجوم ، و تلك هى الحكمة الحربية و « الاستراتيجية » الجدلية التى ما زالت و لا تزال سياسة القادة المحنكين ، و الحذاق العسكريين ، و لكن ذلك لم يفت فى عضد الشيخ الذى هيأة الله ليخوض هذه المعركة الحاسمة التى لا بد أن يخوضها الشعب المسلم الهندى الذى واجه الدعوة المسيحية وجهاً لوجه ، قبل أن يواجهها شعب آخر فى قطر إسلامى أو عربى ، فكان يتوقف عليه مصير الشعوب الاسلامية و الشعوب العربية كلها ، التى كانت هذه الدعوة فى طريقها إليها ، فاذا قدر الله أن يخرج هـذا الشعب الأعزل المثخن بالجراح ، من هذه المعركة الجدلية الكلامية و العلمية الاستدلالية فاتحاً مظفراً ، مرفوع الرأس ، شامخاً بأنفه ، تراجع هـذا السيل على أعقابه ، وضعف مده و طغيانه .

قام الشيخ رحمة الله و شمر عن ساق الجد و الاجتهاد ، ونذر الله أن لايهدأ حتى يدرس مصادر النصرانية ، و مراجعها ، دراسة عميقة دقيقة و يخوض فيها و ينقب .

وقدشحذ عزمه على ذلك قدوم القس الطائر الصيت فندر (Rev. C. C. P. Fonder) من انكلترا ، و قد قام بنشاط كبير ، و حماس زائد ، فى مناظرة علماء الهند ، و قد تحداهم تحدياً سافراً ، و قام بجولة فى مديريات الهند ، يخطب فى مجامع ، و يدعو إلى النصرانية ، و كانت المشكلة مشكلة اللغة ، و كان الشيخ لا يعرف اللغة الانجليزية ، و لتعلم اللغات الأجنبية سن طبعية قد تخطاها الشيخ ، الذى ظل زمناً طويلا مشغولا بالعلوم الدينية والعقلية ، وكان «فندر» لا يعرف إلا

اللغة الانجليزية ، و كان مشاركا فى اللغة العربية و الفارسية ، فأين القنطرة التى تصل بينهما ، و أين الرجل الذى يساعد الشيخ رحمة الله فى الاطلاع على المصادر الأجنبية ، و الوثائق المسيحية التاريخية ؟ .

هنالك قيض الله مسلماً غيوراً - ولله جنود السماوات و الأرض - و هو الدكتور محمد وزير خان الأكبر آبادى الذى كان سافر إلى لندن سنة ١٨٣٢م يدرس الطب الجديد ، و قد نال فيها شهادة عالية و أتقن اللغة الانجليزية و درس اللغة اليونانية ، و عنى بدراسة المسيحية من مصادرها الأصيلة و اقتناء كتبها ، و استصحب هذه المكتبة الثمينة (١) إلى الهند ، و كان عضد الشيخ الأيمن فى هذا الجهاد العلمى الكبير الذى كان جهاد الساعة ، و واجب الوقت .

و لما أكمل الشيخ رحمة الله مهمته فى الدراسة ، و أخذ عدته و عتاده لخوض المعركة وقد استفحل أمر « فندر » فقد رأى أن الجو قد خلا له ، فازداد جرأة و تحدياً ، و رأى الشيخ رحمة الله أنه لا سبيل إلى الحد من نشاط هؤلاء القسوس - وفى مقدمتهم وعلى رأسهم القس فندر - وإعادة الثقة إلى نفوس المسلمين ومقاومة « مركب النقص منهم ، إلا مناظرة فندر فى جمع حافل يحضره المسلمون و المواطنون ، و الحكام الأوربيون ، و النصارى ، و المتنصرون و كان « فندر » كثير الادلال بكتابه « ميزان الحق » (٢) فخوراً بحججاته ، ويرى أنه ليس من السهل معارضته ، و نقضه من علماء المسلمين .

(١) ساهم الدكتور فى ثورة ١٨٥٧م و هاجر على أثرها إلى مكة المكرمة حيث لحق بالشيخ رحمة الله و مات دفن فى البقيع .

(٢) صدرت له الطبعة الثانية باللغة الفارسية سنة ١٨٤٩م من آكره و الطبعة الثالثة باللغة الأردية سنة ١٨٥٠م .

حرص الشيخ رحمة الله على مناظرة القس « فندر » كل الحرص ، فراسله فى هذا الموضوع و ألح عليه بالظهور أمام الجمهور و علماء المسلمين ، و استعان فى ذلك بكل من يرى فيه غناءاً أو تأثيراً ، ولما رأى القس أنه لا مناص له من هذه المناظرة قبلها راضياً أو مكرهاً و هو لا يقدر نتائجها تقديراً صحيحاً ، و تقرر عقد مجلس المناظرة فى ١١/ من رجب سنة ١٢٧٠ه (١٠/ من أبريل ١٨٥٤م) (١) فى أكبرآباد - آكره إحدى مديريات الولاية الشمالية الرئيسية وأحد مجالات النشاط « التبشيرى » فى الهند ، فى حى من أحيائها المعروف بحارة « عبد المسيح » (٢) .

بدأت الحفلة فى اليوم المعين ، و الساعة المحددة و قد حضرها ولاة المديرية من حكام و قضاة و بعض كبار موظفى الثكنة الانجليزية من الانجليز ، و حضر القس الشهير (French) و القس وليم كلبن (William Cilbon) و عدد كبير من أعيان البلد و وجهائه و من أبناء البلد المسلمين و المسيحيين و الهنادك و السيخ ، و كان الدكتور محمد وزير خان بجوار الشيخ رحمة الله يساعده و يتعاون معه ، وكانت خمس قضايا موضوع البحث والمناظرة وهى : ١- التحريف فى الكتب المقدس (العهد القديم و العهد الجديد) . ٢- وقوع النسخ . ٣- التثليث . ٤- نبوة محمد ﷺ . ٥- صدق القرآن و صحته ، و قد تقرر أنه إذا انتصر الشيخ رحمة الله فى هذه المناظرة يدخل فندر فى الاسلام ، و إن كان بالعكس يتنصر الشيخ .

أسفرت هذه المناظرة التى لفتت أنظار المسلمين المعنيين بالقضية فى داخل البلد

(١) قبل ثورة بثلاث سنوات .

(٢) منسوبة إلى أحد المتنصرين من أبناء البلد يظهر من ذلك نفوذ حركة التنصير فى داخل البلد .

و خارجه ، و كانت حديث النوادى ، و الشغل الشاغل و القيم المعقد فى البلد عن اعتراف القس « فندر » بوقوع التحريف فى ثمانية مواضع من الانجيل ، وقد أفزع ذلك الولاة وأنصار فندر وشيعته ، لكنه سهم أطلق من القوس فلا راد له ، وتزايد عدد الحاضرين فى الغد وازداد عدد الحكام والانجليز ، والمسيحيين ، والهنادك والسيخ ، وحضرها جم غير من المسلمين وأصر فندر على أن الأخطاء التي وقعت فى الانجيل كانت من سهو الكاتب ، أما العبارات التى تتضمن عقيدة التثليث و ألوهية المسيح والفداء و الشفاعة فهى مصونة من التحريف ، و قد رد عليه الشيخ بقوله أنك ما دمت قد اعترفت بوقوع التحريف فى الانجيل ، فقد أصبح هذا الكتاب مشكوكاً فيه برمته ، و انتهى البحث على ذلك ، و لم يرجع القس إلى البحث و المناظرة فى اليوم الثالث (١) ، و كان من الواضح أنه انسحب عن ميدان المناظرة ، و كان انتصاراً رائعاً للجانب الاسلامى ، قويت به معنوية المسلمين و تشجعوا على مواجهة القسوس ورد دعاويهم ، و فقدت الدعوة التبشيرية الكثير من اعتبارها و قيمتها .

و بعد عامين قامت ثورة ١٨٥٧م التى كانت المحاولة الأخيرة اليائسة للتخلص من « الأخطبوط » الانجليزى و طرح نيره ، و على إثر إخفاقها تعرض المسلمون لرد فعل عنيف من جهة الانجليز الفاتحين الموتورين الذين كانوا يعتبرون المسلمين أصحاب الفكرة و القيادة فى هذا النضال ، و المواطنين تابعين لهم ، فكان حنقهم شديداً على علماء المسلمين و أهل الخطر منهم ، و من له شأن فى المجتمع الهندى يعلقونهم على المشانق و يقتلونهم بتعذيب ، و إهانة ، و يبحثون عن كل من كانت

(١) راجع للتفصيل و البحث الشريف فى مسألتى النسخ و التحريف « فى حكاية هذه المناظرة و خبرها للشيخ رفاعى الخولى على هامش « إظهار الحق » طبع المطبعة العلمية باستنبول عام ١٣١٥م .

له كلمة مسموعة أونفوذ فى المجتمع ، وكان من ضمنهم و فى مقدمتهم الشيخ رحمة الله الكيرانوى الذى انتصر عليهم فى المعركة الدينية وأسهم فى الكفاح ضدهم ، واختفى مدة فى قرية صغيرة ، و لما دخلت الجيوش الانجليزية فى هذه القرية أخذ المنجل ودخل فى مزرعة و تشاغل بحصاد الحقل كفلاح صغير مغمور ، واستطاع بذلك أن ينجو بنفسه ويصل إلى « سورت » ميناء الهند ، و يهاجر منها إلى البلاد المقدسة ، و كان ذلك فى سنة ١٨٦٢م يعنى بعد الثورة بخمس سنوات ، و صودرت أملاكه التى كانت كبيرة واسعة ، و بيعت بالمزاد العلنى ، وكان ذلك فى أيام خلافة السلطان عبد العزيز العثمانى ، و إمارة الشريف عبد الله بن عون ، ولما عرفت منزلته العلمية فى مكة ، و بلاؤه فى الدفاع عن الاسلام . سمح له بالتدريس فى الحرم المكى ، و توثقت بينه و بين عالم مكة الجليل الشيخ أحمد بن زينى دحلان الصداقة ، وهو الذى كان له الفضل فى التعريف به عند الشريف و علماء مكة و أعيانها .

وصادف أن القس « فندر » بعد ما قضى فترة فى الأقطار الأوربية كألمانيا وسويسرا ، وانكلترا ، أرسلته الارسالية الكنسية فى لندن إلى قسطنطينية ليقوم بالدعوة و التبشير فى مقر الخلافة الاسلامية و قلب العالم الاسلامى ، و قد قابل السلطان عبد العزيز و حكى له قصة المناظرة فى الهند ، و ذكر أنه كان للمسيحية فيها انتصار على الاسلام ، و أهم ذلك السلطان عبد العزيز خليفة المسلمين ، و كتب إلى شريف مكة يأمره بالاتصال بأهل الخبرة من حجاج الهند ، والحصول على المعلومات الصحيحة عن هذه المناظرة و ثورة ١٨٥٧م و إحاطة الباب العالى بحقيقة الأمر ، و كان الشريف قد اطلع على حقيقة الأمر عن طريق شيخ العلماء السيد أحمد دحلان ، فكتب بذلك إلى الآستانة و ذكر أن العالم المسلم الذى كان بطل هذه القضية موجود فى مكة فأنفذ السلطان بطلبه إلى الآستانة و توجه الشيخ إليها فى سنة ١٢٨٠هـ

(١٨٦٤م) و لما علم القس فندر بتوجهه إلى قسطنطينية غادر العاصمة لساعته ، وعقد السلطان مجلساً للعلماء و الوزراء حكى فيه الشيخ قصة المناظرة و كيف انتصر فيها الاسلام على المسيحية ، و قص قصة ثورة ١٨٥٧م و حينئذ فرض السلطان قيوداً على نشاط المبشرين و الارساليين فى الدولة العثمانية ، وسن فى ذلك قوانين صارمة ، و كثيراً ما كان السلطان يجتمع بالشيخ بعد صلاة العشاء و يصغى إلى حديثه ، ويحضر هذا المجلس خير الدين باشا التونسى الصدر الأعظم ، وكذلك شيخ الاسلام و غيره من كبار العلماء .

و قد اقترح السلطان عبد العزيز و الصدر الأعظم ، خير الدين باشا على الشيخ بعد ما سمعا قصة المناظرة ، و عرفا طول باعه و واسع اطلاعه فى هذا الموضوع و قوة عارضته و اقتداره على نقد المسيحية و مصادرها أن يؤلف كتاباً بالعربية يتناول فيه القضايا الخمس التى دار عليها البحث فى مناظرة « آكره » بالتحقيق و التفصيل ، و قبل الشيخ هذا الاقتراح و بدأ فى تأليف كتاب « إظهار الحق » و هو مقيم فى الآستانة فى شهر رجب ١٢٨٠هـ و أكمله فى ذى الحجة فى نفس السنة يعنى فى ظرف ستة أشهر ، و قدمه إلى السلطان و لكنه ذكر فى المقدمة أن هذا التأليف كان تحقيقاً لرغبة شيخ العلماء السيد أحمد زينى دحلان ، فكلمه فى ذلك خير الدين باشا ، وقال : إنه كان امتثالا لأمر أمير المؤمنين ، فكان اللائق أن ينوه بذلك إكراماً لمركز الخلافة و إنصافاً للواقع فاعتذر الشيخ ، وقال : إن هذا العمل كان واجباً أن يكون خالصاً لوجه الله لا يشوبه غرض دنيوى أو تزلف إلى أمير أو سلطان ، وقد سبق أن شيخ العلماء رغب إلى ذلك وترجانى أن أقيد خبر هذه المناظرة ، وكنت قد بدأت بجمع بعض المواد فى مكة ، وله فضل فى تقديمى

إلى شريف مكة ، وهو الذى كان السبب فى وصولى إلى سدة الخلافة لذلك آثرته بالذكر و الاعتراف بالفضل .

و هكذا ظهر هذا الكتاب إلى حيز الوجود ، و يمتاز بعدة ميزات :

١- الأولى أن المؤلف آثر خطة الهجوم على خطة الدفاع التى لا تزال أقوى و أكثر تأثيراً فى النفس ، فانها تلجئ الخصم إلى أن يتخذ موقف الدفاع و أن يقف فى قفص الإتهام ، يدافع عن نفسه وينفى التهمة ، كان مما تورط فيه علماء المسلمين قديماً أنهم وضعوا التوراة و الانجيل و القرآن على مستوى واحد ، و بذلك نالت هذه الصحف القديمة ما لم تكن تستحقه من الثقة والتقدير ، مع أن أصحابها أنفسهم لا يدعون أنها كلها كلام الله و الوحى المنزل من السماء و بنصه و فصه ، كما هو الشأن مع القرآن الكريم ، والمؤمنين به (١) ، وقد كان شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن تيمية موفقاً كل التوفيق فى إيثار خطة الهجوم فى كتابه « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » (٢) ، مع أن قيمة الصحف الأربعة للانجيل لا تعدو عند المحققين قيمة كتب السيرة و الحديث من الطبقة الثانية و الثالثة ، ليس لها سند متصل صحيح ، و قد ألفت بعد رفع المسيح فى فترات مختلفة ، وفيها أشياء من كلام المسيح و أشياء من أفعاله و معجزاته (٣) ، و قد تفطن الشيخ رحمة الله بدقة دراسته و أصالتها ، و أصاب المحز ، فغير ذلك وجه البحث والجو الذى تقوم فيه

(١) راجع كتابنا « النبوة والأنبياء فى ضوء القرآن » فصل « الصحف السماوية السابقة و القرآن فى ميزان العلم و التاريخ » .

(٢) الكتاب فى أربعة أجزاء و تقع فى ١٢٩٥ صفحة ، طبع فى مصر عام ١٣٢٢ هـ .

(٣) راجع للتفصيل الجزء الثانى من « الجواب الصحيح » ص ١٠ .

المناظرة ، و أفقد الخصوم الموقف المشرف الذى تمتعوا به و استقلوه زمناً طويلا .

٢- الميزة الثانية أن المؤلف تجنب البحوث الدقيقة التى يتسع فيها مجال الجدال و يكثر فيها القيل والقال ، بل اعتمد فى الكتاب على التناقضات الواضحة والبديهيات الجلية ، التى لا تقبل التأويل ، واستخرج منها نتائج كنتائج رياضية لا يختلف فيها اثنان ، فقد أثبت أن التوراة و الانجيل مليئة بالاختلافات و التناقضات ، و قد وقعت فيها أخطاء فاحشة عد منها مأة و ثمانية ١٠٨ أخطاء ، و برهن بذلك على أنها كلها ليست إلهاماً من الله ، و أن التحريف قد وقع فى « الكتاب المقدس » لا محالة من زيادة ألفاظ ، و حذف كلمات ، و عبارات إلحاقية ، و بذلك أصبح هذا الكتاب شديد الوطأ على من يؤمن بكونها صحفاً سماوية منزلة وصلت إلى البشر عن طريق الوحى و الالهام .

٣- تعرض المؤلف فيه لمغالطات النصارى و تمويهم ، و رد عليها فى أسلوب سائغ مقنع ، و تعرض لاثبات النسخ و وقوعه فى الديانتين السابقتين و صحفهما .

٤- وضع المؤلف العلامة حقيقة التثليث النصرانية على محك العقل ، ونقدها نقداً علمياً يستسيغه كل من رزق العقل السليم و الذوق الصحيح .

٥- لم يكتف المؤلف بنقد المسيحية و عقائدها و صحفها بل أضاف إلى ذلك الحديث عن القرآن الكريم و إثبات أنه كلام الله ، لا شك فى ذلك ، و أجاب فى هذا الصدد عن كل ما عارضه به النصارى ، و اعترضوا على القرآن ، و ذكر فى ذلك نبذة من سيرة الرسول ﷺ و معجزاته و البشارات التى وردت فى شأنه و قد ذكر ثمانى عشرة ١٨ بشارة و حقق صحة الأحاديث .

لذلك كان الاقبال على هذا الكتاب كبيراً والعناية به عظيمة ، و قد ظهرت له الطبعة الأولى فى ١٢٨١ هـ فى استنبول ، ونقله عالم تركى إلى اللغة التركية وسماه

بـ « إبراز الحق » وقامت الحكومة العثمانية بترجمة الكتاب فى عدة لغات أوربية و نقله أحد الكتاب بالانجليزية فى الهند إلى اللغة الانجليزية سمـــاه « The Truth Revealed (١) وترجمه الشيخ غلام محمد الراندیرى إلى الكجراتية إحدى لغات الهند الاقليمية ، و ترجم أخيراً إلى اللغة الأردية باسم « بائبل سے قرآن تك » (من العهدين القديم و الجديد إلى القرآن) و هذه الترجمة فى ثلاثة مجلدات ، قام بهـا الشيخ أكبر على السهارنفورى أستاذ الحـــديث فى دار العلوم كراچى ، و قدم له فضيلة الشيخ محمد تقى العثمانى بمقال مسهب فى تاريخ المسيحية وشرح عقائدها ومبادئها و نقدها نقداً علمياً ، و تستحق هذه المقدمة العلمية القيمة أن تنشر مفردة و تنقل إلى العربية و الانجليزية (١) .

و اشترى القسوس كميات كبيرة من طبعيات الكتاب وأتلفوها إحراقاً وإبادة لتغيب الكتاب من السوق و قد أعيد طبعـــه فى مصر مراراً ، و أخيراً قامت وزارة الأوقاف و الأمور الدينية فى المغرب ، وأصدرت له طبعة ممتازة فى ١٣٨٤هـ وأثنى على الكتاب وعلو مكانته كبار العلماء فى الشرق العربى منهم الشيخ عبد الرحمن بك باجه جى زاده فى كتابه « الفارق بين المخلوق و الخـــالق » و منهم الشيخ عبد الرحمن الجزيرى عضو هيئـــة كبار العلماء فى مصر فى كتابه « أدلة اليقين » و العلامة السيد رشيد رضا منشئ مجلة « المنار » فى تقديمه لانجيل برناباس ترجمه

(١) مع الأسف لم ينزل هذا الكتاب إلى السوق إلى المكتبات فى الهند أوانكلترا لأسباب سياسة أخرى .

(٢) اقترح ذلك كاتب هذه السطور على صديقه الفاضل كاتب هـذه المقدمـــة و ناشر هذه الترجمة سن باكستان و هو لا يزال متمسكا بهذه الفكرة .

الدكتور خليل سعادة المسيحى ، والأستاذ عمر الدسوقى فى مقدمة الكتاب « إظهار الحق » .

أما الأوساط النصرانية الأوربية فناهيك بمـا كتبتـــه كبرى صحف انكلترا « London Times » تعليقاً على هذا الكتاب .

« لو دام الناس يقرأون هذا الكتاب لوقف تقدم المسيحية فى العالم » .

و نحن نكتفى فى هذه العجالة التى كتبت كتقديم لهذا الكتاب العظيم باقتراح صديقنا الجليل الأستاذ محسن باروم صاحب « دار الشروق » و الكاتب على أهبة السفر و تشتت بال ، و تزاحم أشغال ، والله ولى التوفيق .

بين الانسان الصناعى و الانسان الحقيقى

(الحلقة التاسعة و الأخيرة)

الأستاذ محمد تقى الأمينى

مدير القسم الدينى بجامعة على كراه الاسلامية

الانسان الصناعى فى النظام السياسى و غايته :

قد استرشد الانسان الصناعى فى النظام السياسى بفكرة الميكافيلى التى غيرت معالم الحياة الانسانية و حطمت حصون القيم العالية و الفضائل الانسانية و اقتنعت بالقوة السياسية بأى ثمن كانت ، وبأى تضحية حصلت ، كما قال الميكافيلى : « الدولة سياسية فقط لا أخلاقية و قانونية » (١) ولذلك فان كل كذب و خداع واضطهاد لاشباع رغبة قومية و توسيع حدود دولية مباح فى السياسة المعاصرة ، و القيم الأخلاقية و الرابطة الروحية ليست لها حقيقة موضوعية بل هى إضافية و تابعة للصلحة السياسية ، والغاية المنشودة لنظامه هى النفعية و الانتهازية و الأنانية البغيضة .

لاشك أن الانسان الصناعى سار قدماً نحو التقدم فى الديمقراطية التى هى أروع و أرقى مظاهر الدولة ، و لكن الواقع الذى لا ينكر أن لفظ الديمقراطية مبهم و غامض جداً بالنسبة إلى تحديد المفهوم و تطبيق التعليمات و الأوامر كما لا يخفى على أهل الخبرة .

(١) نظرية الدولة للبلنجلى ص ٢٧ و ٢٨

و الحاكمية العليا و النفوذ المطلق للشعب و الجمهور الذين هم قليلو المادة فى الأصل محفوفة بالرغبات و العواطف الردية ، و حق التشريع و تحديد الخير والشر و التفاوت بين المعروف و المنكر و التباين بين القيم العالية و السافلة كلها مفوضة إلى رأى الجماهير .

و الحقيقة أن الانسان فرداً أو جماعة لا يستطيع أن يكشف غوامض الحياة وخباياها ويرتب البرنامج التى يستوعب جوانبها كلها من النفسية والشخصية والاجتماعية لأن الانسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً و إذا مسه الخير منوعاً (١) و كان الانسان أكثر شئ جدلا (٢) قال Daved. C. Marsh : « تملكنا القوى الفطرية و الطبعية على حد كبير و لكن لا علم لنا بنواحى الحياة الانسانية إلى حد لايحسب له حساباً (٣) و قال A. W. HasIat : و علماء الذرة لا يعجزون عن شئ من غوامض الكون بقدر ما يعجزون عن غوامض الحياة الانسانية ، إنهم يتمكنون من تحطيم الذرة و التوصل إلى أبعد الكواكب واستعباد الكهرباء و لكن لا يمكنهم أن يتعرفوا على حقيقة الحياة و دقائقها ، و إنهم إذا أرادوا أن يفهموا حقيقة أنفسهم أو حياتهم لوقعوا فى ورطة المشكلات و المصاعب (٤) .

الانسان الحقيقى فى النظام السياسى و غايته :

و قد استرشد الانسان الحقيقى بفكره أفضل الانسان و أعلى رجل فى التاريخ

(١) سورة المعارج الآية : ٢١ (٢) الكهف الآية : ٥٤

(٣) Dauid· C· Maroh the Changing Social Structure England Luiales P· 263

(٤) A. W. Haslet Unsolved Problems. p. 195,

الانسانى كله و أعظم تأثير على الاطلاق فى المستوى الدينى و الدنيوى و السياسة الناجحة المنصورة و هو محمد ﷺ (١) الذى نفخ روح المحبة و العدالة والتضامن فى الحياة ورفع جوانب الحياة الانسانية ومستواها على أسس معنوية ورابطة روحية، و حطم قوة الشر والفساد والاضطهاد بالقوة الايمانية وخوف الآخرة، هذه الفكرة تؤمن بالسيادة الكاملة و الحاكمية المطلقة و النفوذ الأعلى « Souerignty » لله تعالى الذى هو المستجمع لجميع صفات الكمال و المنزه عن السهو و النسيان و الخطأ والضلال « وهو الذى فى السماء إله و فى الأرض إله وهو الحكيم العليم (٢) » ألا له الخلق و الأمر فتبارك الله رب العالمين (٣) .

و الغاية المنشودة من هذا النظام هى العبودية لله تعالى ورفاهية الناس و إقامة الحق و العدل كما قال الله تعالى « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة وأمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر و لله عاقبة الأمور (٤) .

و الدستور الأساسى له هو كتاب الله عز وجل لا تبديل لكلماته و لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٥) هو معيار الخير و الشر و مقياس الحلال والحرام ومكيال الطيب والخبيث قال الله تعالى « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً (٦)

(١) كما اعترف الدكتور مايكل هارت فى كتابه « المائة » أى أهم مائة رجل فى التاريخ الانسانى كله .

(٢) الزخرف الآية : ٨٤ (٣) الأعراف الآية : ٦٤

(٤) الحج الآية ٤١ (٥) حم السجدة الآية ٤٢

(٦) بنى إسرائيل الآية : ٩

« و تمت كلمة ربك صدقاً و عدلا لا مبدل لكلماته و هو السميع العليم » (١) وقال عليه السلام: « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين» (٢) .

و الدعائم العامة التى يقوم عليها النظام السياسى فهى ست .

١- الخلافة العمومية لا الحكومة المستقلة و لا السيادة المعتـــدة و لا الوراثة الدائمة قال الله تعالى : « يادائود إنا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين النـــاس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله (٣) » « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه (٤) » و قال عليه السلام لأبى ذر : إنك ضعيف و إنها أمانة و إنهـا يوم القمة خزى و ندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها (٥) وقال : الامام الذى على الناس راع و هو مسئول عن رعيته (٦) ، و قال : لا تسأل الامارة فانك إن أعطيتها عن مسألة و كلت إليهـــا و إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها (٧) .

٢- العدالة المطلقة التى لا يميل ميزانها الحب والبغض ، ولا تغير قواعدها المودة والشنآن ، قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين و الأقربين » (٨) و لا يجرمنـــكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون (٩) » و قال عليه السلام : إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم مجلساً إمام عادل وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذاباً إمام جائر (١٠) وقال : يامعاوية

(١) الأنعام الآية : ١١٦

(٢) المسلم و المشكاة كتاب فضائل القرآن .

(٣) سورة ص الآية : ٢٦ (٤) الحـــديد الآية : ٧ (٥) المسلم و المشكاة كتاب الامارة (٦) أيضاً (٧) أيضاً (٨) النساء الآية : ١٣٥ (٩) المائدة الآية : ٨ (١٠) الترمذى و المشكاة كتاب الامارة

إن وليت أمراً فاتق الله و اعدل (١) ، و قال إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن (٢) .

٣- التشاور مع أهل الحل و العقد ، و تحديده بنظام خاص متعذر جداً لأن طريقته تتغير بتيقظ الشعور و تغير الظروف و الأحوال و المقتضيات ، قال الله تعالى : « و شاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله (٣) و أمرهم شورى بينهم (٤) و فى غزوة بدر قال عليه السلام : « أشيروا على أيها الناس » و فى غزوة أحد قال : « أشيروا على ما أصنع » (٥) و قال : المستشار مؤتمن (٦) و كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه أمر جديد جمع رؤساء الناس فاستشارهم فاذ اجتمع رأيهم على شئ قضى به (٧) و من سيرة عمر أنه كان يشاور الصحابة و يناظروهم حتى تكشف الغمة و يأتية الثلج (٨) .

٤- المساواة الانسانية فى الاكرام و حفظ النفس و العرض و المال و حرية الفكر و الدين .

قال الله تعالى : « و لقد كرمنا بنى آدم و حملناهم فى البر و البحر و رزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (٩) «هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » (١٠) « لا إكراه فى الدين » (١١) .

(١) رواه أحمد و المشكاة أيضاً

(٢) المشكاة كتاب الامارة (٣) آل عمران الآية : ١٥٩

(٤) الشورى الآية : ٣٨ (٥) السيرة لابن هشام (٦) المشكاة باب الحذر و التأنى فى الأمور (٧) أبو عبيد كتاب القضاء و ابن القيم اعلام الوقعين الجزء الأول ص : ٤٠١ (٨) الشاه ولى الله حجة الله البالغة باب كيفية تلقى الأمة الشرع من النبى ﷺ (٩) بنى اسرائيل الآية : ٧٠ (١٠) البقرة الآية : ٢٩ (١١) البقرة الآية : ٢٥٦ .

و قال عليه السلام : فان دماءكم و أموالكم و أعراضكم حرام كحرمة يومكم هذا (١) و قال أبو عبيد بعد ذكر البلاد « فهذه بلاد العنوة وأقر أهلها فيها على مللهم و شرائعهم (٢) فهم أحرار فى شهاداتهم و مناكحاتهم و مواريثهم و جميع أحكامهم (٣) و كتب عمر بن الخطاب إلى أهل الكوفة يبعثون إليه رجلا من أخيرهم و أصلحهم و إلى أهل البصرة كذلك و إلى أهل الشام كذلك (٤) وبعد فتوح البلاد أعاد عمر بن الخطاب الحكام السوابق إلى أماكنهم فى الأغلب و كانت جبايتهم بالتعديل بمناسبة الحكومة (٥) .

٥- والصلات الدولية فى المسالمة والحماية والوفاء بالعهود لا الخصومة والعدوان : قال الله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين و لم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم و تقسطوا إليهم إن الله لا يحب المقسطين (٦) ، و قال فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم و ألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » (٧) « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها و توكل على الله إنه هو السميع العليم (٨) وقال عليه السلام : ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فانا حجيجه يوم القيامة (٩) وقال الفقهاء : إن القتل باعتبار المحاربة (١٠) فيقتل لدفع المحاربة (١١) .

٦- الاجتهادات المتصلة مع أهل العلم و الخبرة فى استنباط الأمور و الأحكام

(١) المشكاة باب حجة الوداع (٢ و ٣) كتاب الأموال لأبى عبيد ص: ١٠١ و ١٤٠ (٤) كتاب الأموال فى تقبيل السواد و اختيار الولاة (٥) المقريزى كتاب الخطط المجلد الأول ص : ١٢٠ (٦) الممتحنة الآية : ٨ (٧) النساء الآية : ٩٠ (٨) الأنفال الآية : ٦١ (٩) كتاب الخراج لأبى يوسف ص: ١٥٥ (١٠ و ١١) أبو بكر محمد السرخى المبسوط المجلد العاشر ص : ١١٠

و تخصيص النصوص و مواردها و تعيين محلها ، قال الله تعالى : « و إذا جاءهم أمر من الأمن أوالخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم (١) و الأمر متضمن لكل حادثة و واقعة لأن الأمن و الخوف حاصل فى كل ما يتعلق بباب التكليف (٢) و فى الآية دلالة على أن الرسول وأولى الأمر كلهم مكلفون بالاستنباط (٣) و قال عليه السلام : إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران و إذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر (٤) إن أبا بكر الصديق كان إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأى و أهل الفقه (٥) و كتب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى « اعرف الأمثال و الاشباه و قس الأمور عند ذلك (٦) و كان إذا جاء الشئ من القضاء ليس فى الكتاب و لا فى السنة سمى صوافى الأمر (٧) .

و للدولة سلطات واسعة فى القوانين الموضوعة لرعاية الآداب و مصالح الناس و انتظام الأحوال و الأشخاص ، و إن لم ينص فى القرآن و السنة لأن النصوص محدودة و الوقائع الحادثة أو الحوادث الواقعة غير مضبوطة تتجدد بتجدد الأيام فلو توقف الاعتبار على الفروع المنصوصة و لم يجتهد أولو الأمر و العلماء فى غيرها لوقع الناس فى الحرج الشديد ، كما إذا بقى الاعتبار مع أهوائهم فى المشكلات الجديدة ضلوا وأضلوا قال الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى

(١) النساء الآية : ٨٣

(٢) فخر الدين الرازى مفاتيح الغيب الجزء الخامس : ٤٠١

(٣) المصدر السابق (٤) البخارى المجلد الأول كتاب الاعتصام باب أجر الحاكم

(٥) طبقات لابن سعد القسم الثانى الجزء الثانى باب أهل العلم (٦) منهاج الأصول للبيضاوى باب القياس (٧) ابن القيم اعلام الموقعين النوع الثالث من الرأى المحمود .

ورضيت لكم الاسلام ديناً (١) » إن إكمال الدين لا يتعلق بأجزاء الشريعة والفروع المتعاقبة يوماً فيوماً حسب ظروف الناس وأحوالهم و بيئاتهم بل هو التنصيص على العقائد و التوقيف على أصول الشرع وقوانين الاجتهاد لا إدراج حكم كل حادثة فى القرآن (٢) ، و قال الشاطبى : القرآن على اختصاره جامع و لا يكون جامعاً إلا و المجموع فيه أمور كليات (٢) .

و الحقيقة أن الانسان الحقيقى لا يستحسن التضييق فى أمورها و لا يسمح بأن يتوسع إلى درجة تتعدى حدود الله و له أسوة حسنة فى أصحاب رسول الله ﷺ الذين أفنوا أعمارهم فى صحبته و تخلقوا بأخلاق الشريعة و غذوا بلبان النبوة و شربوا من معينها الصافى إنما كانوا مكلفين بتوسيع الشريعة ، كما كان رسول الله ﷺ مكلفاً لبنائها وكانوا أحق به ، كما فصلته فى كتابى (الاجتهاد ، تطور وتاريخ)

و قد يظن القارى أن الصحابة رضى الله عنهم خالفوا أحياناً للنصوص إزاء اجتهاداتهم و لكنهم بعاقبة نظرهم لم يخالفوا و لم يرجحوا الاجتهاد بازاء النص ، و غاية ما فى ذلك أنهم قدموا النص وأخروه و خصصوا النص وعينوا محله وتركوا ما يدل على الظاهر مع اعترافهم ببقاء أصله و روحه ، وهذا كله مما لا يمكن انتظام السياسة الكبرى بدونه و هو باب واسع لا يتغلب عليه إلا الفقيه البارع الذى يتصف بوصفين ، أحدهما العلم بمقاصد الشريعة ، و الثانى التمكن من الاستنباط .

و كذلك لابد من معرفة أحكام الحوادث الكلية و نفس الواقع و أحوال الناس وعلى هذا وجدت طائفة من علماء المسلمين ضيقت الشريعة و أضاعت حقوق الناس وتركتهم مع أهوائهم فى المشكلات الحديثة و الوقائع الجديدة وطائفة توسعت و تعدت حدود الله و أحلت بعض ما حرم الله و ذلك كله فساد و إعراض عن الاعتدال و الشريعة السمحة البيضاء و مناف لاكمال الدين و إتمام النعمة .

(١) سورة المائدة الآية : ٣ (٢) عبيد الله بن مسعود التلويح : ٥

(٣) الموافقات للشاطبى الجزء الرابع : ٣٢٧

أدب الصحافة فى العصر الحديث

الدكتور محمد راشد الندوى
الأستاذ المساعد فى قسم اللغة العربية
بجامعة عليكراه الاسلامية (الهند)

أضحت دراسة النزعات و الاتجاهات فى الأدب و الشعر من أهم الدراسات فى العصر الحديث ، قد حاول النقاد والباحثون أن يستخرجوا من خلال الشعر والأدب التطورات السياسية و الاجتماعية و الدينية ، فتقود هذه الدراسة إلى دراسة الأدب و الشعر من الناحية الفنية أيضاً ، لأن تطور اللغة من ناحية البيان و الأسلوب ، ودقة الاحساس ، ونصاعة الفكر يدل على قوة الادراك ومقدرة الاستنتاج ، إذاً فان التطور الفكرى و التطور اللغوى والأدبى يسيران جنباً بجنب ، ويلقى كل واحدمنهما ظلاله على الآخر ، لذلك تكون دراسة النزعات والاتجاهات مفيدة وممتعة ، ولكنها تحتاج إلى خبرة واسعة للحوادث و الوقائع ، و لا تحصل هـذه الخبرة إلا بعد دراسة المقالات التى نشرت فى الجرائد و المجلات ، والخطب التى ألقيت فى المحافل و المجامع فى ظروف مختلفة ، و الوثائق السياسية التى أذيعت فى فترات مختلفة ، و من هنا فان دراسة النزعات و الاتجاهات تقود الباحث والكاتب إلى دراسة عصر كامل و حياة كاملة للأمة التى تقلبت فى أرجوحة الحوادث و النوازل و المحن أو عاشت فى أحضان النعمة والدعة والترف ، فى هذه الأيام أصبحت دراسة الصحف

و الجرائد من أهم الوسائل لدراسة الحياة السياسيه و الاجتماعية والدينية والأدبية ، لأن رجال السياسة و الاجتماع ، و رجال الفن و الأدب قد جعلوا الصحافة أكبر وسيلة لنشر أفكارهم و اتجاهاتهم ، و طبع إنتاجهم و آثارهم ، إذا التطور الفكرى و الثقافى و الأدبى يسير جنباً بجنب مع تطور الصحافة ، هنا يجدر بنا أن ندرس دراسة موجزة لتطور الصحافة العربية و من خلالها ندرس تطور الأساليب الأدبية و الفنية فى اللغة العربية المعاصرة .

تركت الحملة الفرنسية أثراً كبيراً فى حياة العامة فى مصر ، ظهرت آثارها فى أيام محمد على لأنه طبق فى دولته النظم التى ورثها من الحكومة الفرنسية ، كما استفاد من المراكز العلمية التى أسست و فتحت فى الديار المصرية ، و كان لها الفضل الكبير فى نشر الكتب العربية القديمة ، و كانت هذه الكتب هى نواة صالحة للحياة العلمية و الأدبية ، لأن كل أمة ناهضة تتكل على التراث القديم وترحب بكل ما جد فى دنيا الأدب و العلم ، و هنا يلتقى الجديد بالقديم ، و يلتقى القديم بالجديد ، و بعد فترة قليلة يمتزج القديم والجديد ، و من ثم ينشأ أدب يرافق حياة العامة و الخاصة و يسير سيرا حثيثاً يحمل فى طياته معنى القديم و الجديد ، لقد جد محمد على فى فتح المدارس و المعاهد فى أنحاء القطر المصرى كما جد فى إرسال البعثات العلمية من طلاب المدارس و خاصة الأزهر إلى بلاد الغرب ، و كانت هذه البعثات تنهل من معين الغرب و تملأ وفاضها بما طاب لها و حسن من ثقافتها ثم ترجع إلى بلادها بعاطفة نبيلة وروح قوية متحمسة تحاول أن تتصل إليها من معارف الغرب ، وثقافته ، وتعرف إلى أهلها حضارة الغرب و اتجاهاته ، فكانت هذه البعثات هى همزة وصل بين الشرق والغرب و بكلمة أخرى بين الثقافة القديمة والجديدة ، فالجيل الذى وجد فى عصر محمد على تعلم وتعرف إلى أشياء لم يعرفها الجيل الذى سبقه ، فالأدب الذى

تركه هذا الجيل قد تحسن كثيراً ، فالكتابات الأدبية بدأت تظهر فى صورة جميلة و بدأت تتخلص من الموضوعات التافهة التى تدور حول المدح و الهجاء و حول المناسبات أوحول موضوعات لا صلة لها بحياة العامة ، كأننا نرى فى الأدب الذى وجد بعد محمد على نتيجة خبرة ، و ثمرة دراسة و فيض خاطر ، لأن الجيل الذى نشأ بعد هذا العصر قد فتح عينيه و الدنيا قد تغيرت فألم إلماماً تاماً بكل ما طبع من التراث العربى القديم ، و ما نقل إليه من الفكر الغربى الجديد ، فالهوة التى كانت بين الشرق و الغرب بدأت تزول ، و هنا اتصلت الحياة العربية بالحياة الغربية لفظاً ومعنى فالاتجاهات السياسية والنزعات الدينية والفكرية التى ظهرت فى الغرب بدأت تتسرب وتتسلل إلى الحياة السياسية والاجتماعية والدينية ، و هنا التقى الأدب والشعر بالحياة و التقت الحياة بالشعر و الأدب ، فكان هذا اللقاء على ميعاد ، فالصحافة العربية كانت ثمرة هذا اللقاء الجميل ، وما إن استقر لمحمد على الأمر حتى أخذ يفكر فى إنشاء (جورنال خديو) على غرار الصحف الفرنسية التى أصدرت من قبل ، و من هذه الصحف (بريد مصر) و صحيفة العشرينات ، ثم ما لبث (جورنال) أن تحول على يد محمد على إلى جريدة (الوقائع المصرية) ، و كان ذلك سنة ١٨٢٨ ميلادية ، وبقيت الصحافة المصرية رسمية ثم استقلت شيئاً فشيئاً بشخصيتها ، وكانت جريدة «وادى النيل» لعبد الله أبى سعود أولى الجرائد الشعبية ظهوراً فى مصر سنة ١٨٦٦ و هى السنة التى شهدت مجلس شورى النواب الذى أنشأه إسماعيل ، و على هذا المجلس الأخير وعلى الصحافة التى شجعها إسماعيل اعتمد الرجل فى محاربة التدخل الأجنبى و محاربة الدولة العثمانية ، و توالت بعد ذلك الصحف الأهلية المصرية يتبع بعضها بعضاً فى الظهور ، فكان منها على سبيل المثال :

جريدة « نزهة الأفكار » لعثمان و إبراهيم المويلحى ١٨٦٩ .

و جريدة « الوطن » لميخائيل عبد السيد .

و جريدة « الأهرام » لبشارة ثقلا ١٨٧٥ .

و جريدة « روضة الأخبار » لمحمد النبى بن عبد الله أبى السعود ١٨٧٥ .

و جريدة « مصر » لأديب إسحاق (بوحى من جمال الدين الأفغانى ١٨٧٧) .

و جريدة « التجارة » لأديب إسحاق و سليم النقاش فى ١٨٧٨ .

و جريدة « التكيت و التبكيت » للسيد عبد الله النديم ١٨٨١ .

و جريدة « الطائف » للنديم كذلك ١٨٨٢ .

و جريدة « الأستاذ » للنديم أيضاً ١٨٩٢ .

و جريدة « العروة الوثقى » للشيخ محمد عبده والأفغانى .

و جريدة « المنار » للأستاذ السيد رشيد رضا .

ثم ظهرت جرائد «مصباح الشرق» لابراهيم المويلحى ، و«المؤيد» للسيد على يوسف و«اللواء» لمصطفى كامل ، «والجريدة» لأحمد لطفى السيد ، «والأخبار» لأمين الرافعى ، و«البلاغ» لعبد القادر حمزة ، وجريدة «السياسية» للدكتور محمد حسين هيكل ، وفى أحضان الصحافة الشعبية المصرية نشأ الأدب العربى الحديث (١) .

كانت هذه المجلات و الصحف تنشر المقالات السياسية و الاجتماعية و الدينية و اللغوية و الأدبية ، و فى جنب هذه الصحف و المجلات ظهرت فى مصر والبلاد العربية مجلات كانت تهتم بالأدب و اللغة خاصة و منها على سبيل المثال : مجلة الهلال ، و المقتطف ، و البيان ، و البيان الأسبوعى ، و الفصول للأستاذ محمد زكى عبد القادر ، و مجلة (أبولو) التى أصدرها الدكتور زكى أبو شادى عام ١٩٣٢ جعلها مخصصة لفن واحد فقط من فنون الأدب وهو فن الشعر، ثم صدرت

(١) الصحافة والأدب فى مصر لعبد اللطيف حمزة : ٢٦ - ٢٧

«الرسالة» عام ١٩٠٣ و كان يشرف عليها الأستاذ أحمد حسن الزيات و تلتها مجلة «الشباب» للأستاذ محمود عترى ، وجريدة «منير الشرق» للشاعر الأديب على الغاياتى ، و مجلة «الثقافة» عام ١٩٣٩ ، و قد تولى رئاسة تحريرها الدكتور أحمد أمين ، و كتب فيها أعضاء لجنة التأليف والترجمة و النشر ، و اتصل بها أساتذة الجامعة ، وصلت إليها المقالات والأشعار من كبار الأدباء فى العالم العربى كله تقريباً ، كذلك ينبغى لنا أن نذكر مجلة «المجمع العلمى» بدمشق ، ومجلة «المجمع العلمى العراقى» فى بغداد ، هاتان المجلتان من أهم المجلات العربية التى نشرت النصوص العربية القديمة ، كما نشرت الأبحاث الأدبية و اللغوية ، و لا تزالان تقومان بمهمتهما بنشاط .

ليست غايتى أن أذكر و أحصى جميع المجلات التى ظهرت فى البلاد العربية فى الفترات المختلفة فان عددها لايحصى ، إنما ذكرت أسماء هذه المجلات لتعرف دورها فى رفع المستوى اللغوى و الأدبى فى العالم العربى ، بل تخرج عليها عدد كبير من هواة الأدب العربى خارج البلاد العربية .

إذاً ينبغى أن ندرس العوامل والمؤثرات التى سببت تطور الصحافة العربية وتقدمها كما ينبغى أن ندرس الاتجاهات والنزعات التى ظهرت فى مختلف البلاد العربية لأسباب سياسية و اجتماعية و دينية ، لأن الصحف و المجلات هى كانت لسان حال لكل نزعة واتجاه ، قامت النهضة العربية المعاصرة على كواهل أعلام الفكر والأدب و كان هؤلاء الأعلام يقودون الحركات الفكرية و الأدبية و الاجتماعية فى نفس الوقت هم كانوا يتولون تحرير الصحف و المجلات التى كانت تنشر آراءهم و أفكارهم و إنتاجهم الثقافى و الأدبى ، و نعرف جميعاً أن هؤلاء المحررين كانوا ذوى عقول قوية و أقلام رشيقة ، و يتمتعون بأصالة فى اللغة والأدب ، بفضل هؤلاء الاعلام تقدمت الصحافة العربية لفظاً و معنى ، هدفاً و غاية ، نذكر على سبيل المثال رفاعة

الطهطاوى ، وعلى أبو سعيد ، والشيخ محمد عبده ، والشيخ رشيد رضا ، و إبراهيم المويلحى ، و السيد أبو يوسف ، و مصطفى كامل ، و لطفى السيد ، و الدكتور حسين هيكل ، و أمين الرافعى ، و الدكتور أحمد أمين ، و أحمد حسن الزيات ، و كرد على ، و خليل مردم بك ، و عباس محمود العقاد ، و كان هؤلاء جميعاً يقودون الحركة الأدبية و السياسية و الاجتماعية . و فى نفس الوقت كانوا صحفيين بارعين ، و كان كل واحد منهم مدرسة صحفية كما كان يمثل مدرسة أدبية أيضاً .

من أوائل القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين مرت البلاد العربية بمراحل مختلفة ظهرت فيها الثورات المختلفة ضد الاستعمار ، ضد الاحتلال ، ضد الحكام الفاسدين ، ضد الظلم و الطغيان ، كما ظهرت الحركات الفكرية و الدينية تحارب الالحاد و اللادينية ، و الفلسفة الغربية الفاسدة ، و التقليد و الجمود و الجهل ، كما قامت النزعات الأدبية والفنية تدعو إلى إصلاح الأسلوب وتحرير اللغة من السجع و جعلها لغة حية مرنة متطورة ، متفاعلة ، شعبية ، قريبة إلى أذهان الناس ، نجد الصحافة العربية فى جميع مراحل حياتها كانت تموج بهذه الآراء و النزعات ، ومن هنا ترى أن كتابة المقالات السياسية والاجتماعية قد تنوعت كما نرى كتابة المقالات الأدبية و الفنية قد توسعت و تطورت ، و كانت الصحف هى تمثل فى الحقيقة النهضة الأدبية و الفنية فى العصر الحديث لأننا نرى أن الآثار الفنية و الأدبية من الشعر و القصة و المسرحية و النقد و الدراسات الثقافية و الاجتماعية كلها وصلت إلينا بطرق الصحافة ، وما ظهر فى الغرب من الآثار العلمية و الفكرية و الثقافية والأدبية والسياسية، فكانت الصحافة تنقل هذه الآثار إلى قراء العربية بلغة جميلة أنيقة ، وأسلوب متين رشيق .

يجدر بنا أن نتحدث عن أسلوب الصحافة لنعرف مدى تطور الأسلوب الصحفى فى العصر الحديث و لنعرف أيضاً النزعات والآراء حول هذا الموضوع .

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة أستاذ الصحافة فى جامعة القاهرة :

اللغة التى يتكلمها البشر لغتان : لغة التخاطب اليومية و هى ما اصطلح على تسميتها بالعامية و لغة الكتب و الصحف ، و هى ما اصطلح على تسميتها بالفصحى ، و إذا أنعمنا النظر فى هذه الأخيرة وجدنا لها مستويات ثلاثة وهى : المستوى الأدبى ، و المستوى العلمى ، و المستوى العملى و الاجتماعى ، فى الأول من هذه المستويات يقف الأديب يطالعنا باحساساته و تأملاته و مواقفه الانسانية و تجاربه الذاتية معبراً فى كل ذلك تعبيراً أساسه الجمال ، تعبيراً فيه كثير من الذاتية و الأنانية ، و الأنانية معناها عناية الأديب بنفسه و بما يدور فيها من أحاسيس ، و ما يجول فيها من خواطر بحيث يخرج لنا من كل ذلك بقصيدة رائعة أو قصة جميلة أو مقال أدبى أو رواية تمثيلية ، ونجد نحن فى كل ذلك صدى لنفوسنا ومرآة لانسانيتنا ، وفى الثانى من تلك المستويات الثلاثة نرى العالم و بيده أجهزة مخالفة كل المخالفة لأجهزة الأول بمايستطيع أن يقوم بالتجارب ، و يفرض الفروض ، و يقيم الموازنات ، و يخرج لنا من كل هذا نتيجة علمية أو نظرية من النظريات التى يمكن أن تكون أساساً يبنى عليه العلم ، وفى الثالث من تلك المستويات يقف الصحافى ينظر إلى الأحداث و الوقائع نظرة غيرية لا ذاتية و هى فى نفس الوقت مخالفة لنظرة الأديب و نظرة العالم كل المخالفة ، ذلك أن نظرة الصحافى إلى الأشياء قائمة على المنفعة التى تعود على المجتمع و تعبيره عنها و لا يشترط فيه جمال الأدب الخالص و لا دقة العلم الخالص لأنه إنما بلغة الحياة اليومية بكل ما فى هذه اللغة من ألفة و بساطة و وضوح و حيوية و من هنا كان الصحافى من أقدر الناس على إفهام الجماهير على أوسع نطاق مستطاع .

أعتقد أن هذا التقسيم للأدب الخالص و أدب الصحافة تقسيم نظرى رياضى

فقط لا ينطبق على الآثار الأدبية التى وصلت إلينا بطريق الصحافة ، كما لا يتفق مع طبيعة الفن و الأدب نفسه ، إننى أرى أن الأدب ، أدباً خالصاً كان أو أدباً صحافياً فانه يرجع إلى طبيعة الأديب و ثقافته الشخصية و ظروفه التى يعيش فيها و النزعة التى يؤمن بها ، و دوافعه و محركاته للكتابة ، فاذا كان الكاتب متمكناً من ناحية اللغة ، خبيراً بالأساليب المختلفة ، متحمساً يهاجم عدوه بكل جوارحه ، منطلقاً مع عواطفه عواطف شعبه ، فانه إذا ألف كتاباً أونشر مقالة ، أوألقى محاضرة ، أوخطب خطبة ، فانه يترك لنا أدباً قوياً متحركاً كأنه ينبع من معين متدفق ، أحسن نموذج نجده من هذا الأسلوب هى آثار جمال الدين الأفغانى ، و الشيخ محمد عبده فى «العروة الوثقى» وآثار مصطفى كامل فى جريدة «اللواء» ومقالات عبد الله النديم ، و مصطفى صادق الرافعى .

أما إذا كان الكاتب يتمتع بنفسية هادئة ، و ثقافة واسعة ، و مهارة فائقة فى ترتيب الأفكار ، و بصيرة كاملة بنفسية الناس ، و منطق هادىء رزين ، فاذا كتب هو فانه يترك لنا أدباً هادئاً رزيناً ، شيئاً قد يكون هو أخف من النسيم ، ولكنه يكون أكثر أثراً من السحر ، أحسن نموذج من هذا الأسلوب نجده فى آثار أحمد لطفى السيد التى نشرها فى جريدة (الجريدة) أعتقد أن أكثر مقالاته و أبحاثه قد جمعت و طبعت فى مجلدات لم تزل هى مناراً للكتاب و الأدباء إلى يومنا هذا .

أما إذا كان الأديب يتمتع بروح خفيفة مرحة ، و نفسية طريفة متهكمة ، فانه يقابل الطعن الموجه إليه بوجه هش بش ، فهو لا يلج مع مخالفه فى الخصام ، بل يرده فلا يجرح مشاعره ، و يسخر به أحياناً ، و لكن بلهجة لينة يتبين كأنه يتفكه به ، فاذا ترك لنا هذا الأديب أثراً من الآثار الأدبية فانه يكون أثراً أدبياً مرحاً

طريفاً وشائقاً ، و هو بهذا الأسلوب الجميل اللطيف يصل إلى هدفه بسهولة و يسر ، ويصرع خصمه بدون أن يمسه ، أحسن نموذج من هذا الأسلوب فى آثار الدكتور طه حسين و عبد القادر المازنى ، و قاسم أمين فى كتاباته الأدبية و أحيانا العقاد فى بعض مقالاته .

أما إذا كان الكاتب يتمتع بعقلية سليمة ، و طبيعة متعطشة إلى مزيد ، وثقافة واسعة فى التاريخ و الأدب ، و محصول وافر من مفردات اللغة ، وصبر كامل على البحث و الدراسة ، فانه إذا كتب مقالة أو ألف كتابا فانه يترك لنا أدبا غنيا قوياً خالداً ، أحسن نموذج من هذا الأسلوب نجده فى آثار الدكتور أحمد أمين والعلامة محمد كرد على ، و خليل مردم بك ، و محمود محمد شاكر ، و أحمد الشائب .

إذاً الأديب هو أديب أينما حل و نزل ، اشتغل فى الصحافة أو اشتغل فى الأدب الخالص فان كل أثر من آثاره يكون أدباً رائعاً جميلا خصباً ، فأدب الصحافة أيها السادة هو ما وصل إلينا بطريق الصحافة يختلف أمره باختلاف طبيعة الأديب .

أقول إن الصحافة العربية المعاصرة أنتجت ثروة فكرية ، و ثقافـــة واسعة و أورثت ثورة أدبية ، نرى فيها الدماء و الدموع ، كما نسمع فيها همسات الشعب و دقات قلبه .

العالم الإسلامي

كيف يفكر أهل الغرب نحو العالم الاسلامى

[هذا المقال ترجمة لتقرير نشرته صندى تلغراف اللندنية وضعه مقرر الصحيفة برغراين و ارسثرون يلقى ضوءاً على نوعيـــة التفكير الغربى فى أوضاع العالم الاسلامى] التحرير .

العامل الرئيسى فيما تمر به إيران اليوم هو «التجدد» (Modern Ism) والتصنيع اللذان يتقدمان إلى الأمام بخطى حثيثة وبسرعة هائلة وعلى طريقة رأسمالية ، مما أدى إلى أزمة سياسية تنفع الشيوعية الماركسيـة فى جانب ، و تمهد الطريق إلى رد فعل دينى فى أبناء الاسلام فى جانب آخر .

و حب التجدد و التصنيع يبعث الناس - أكثر من الالحاد و اللادينيـــة - على ترك القرى إلى المدن ، الأمر الذى يزيد فى الغربة و الضياع و تلوث المدن و قذارتها ، و أصبح التجدد يهاجم القيم و المثل الخلقية و المعنوية التى كانت تمنع من التحرر من ربقة الدين القديم . . لكن فشل هذا النظام كما يقوى يد الله و يد ماركس ، فكذلك يجعل القيم الغربية و التكنولوجيا الغربيـــة فى موقف المجرمين .

و قد أرجع المعلقون عامة سبب التقزز المتصاعد من الغرب إلى الشيوعيـة ، و لم يضع أحد - فى جدية - ما لهذا التقزز من صلة عميقة بالدين و بالله ، وبما أن « الاله » لايخطر اليوم من الغرب على بال ، فعم الاعتقاد بأن هـــذا الشعور

بدأ يلفظ أنفاسه الأخيرة فى الشرق الأوسط أيضاً .

و يسبغ كل واحد من الناس فى سهولة الفكرة القائلة بأن العملاء السوفيت قد شكلوا خطراً على الغرب ، و ليس هنـاك عاقل يهمه أمر « فقهاء » و رجال الدين « المجانين » . .

ما أوهى ذاكرتنا ! !

قد كان « العالم المحمدى » يقض مضاجع العالم المسيحى فى فجر هـــذا القرن كقوة غريبة ، و لم يكن السبب فى ذلك هو القوة الحربية العظيمة التى كانت تتمتع بها الخلافة العثمانية ، بل المهابة المتوارثة جيلا بعد جيل التى كانت قائمة على تجارب تاريخية فيما يتصل بدين قديم دعا أتباعه منذ قرون إلى عقائد لاتلتقى مع المعتقدات المسيحية على طول الخط ، تلك التى لا يتحرج أبناؤه - المسلمون - من التفانى فى سبيلها .

و الحوادث التى ظهرت فيما بعد جعلت الغرب يعتقد أن الاسلام قد فقد قوته . . .

و لئن كان غـــلاد ستون (Glad Store) يرى أنه يجب - من أجـــل الاطلاع على سر قوة العدو - دراسة القرآن بعناية و إمعان ندرس بهما الكتاب المقدس (Bible) فان المفكرين اللاحقين صرفوا جل عنايتهم إلى دراسة « داس كيبتل (الرأسمالية) أو (Mein Kampe) و شغل العقول الغربية الخطر الشيوعى أو الفاشستى دون « المحمدية » والاسلام ، و هـذا التغير فى أسلوب التفكير و وجهة النظر لم يكن بدون سبب .

فقد قضى زوال الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى على خطر الهجوم الاسلامى ، وعبد الطريق فى الشرق الأوسط لنفوذ الغرب المادى ولاسيما بريطانيا ، و لا أعدو الحق لو قلت : إن الأفكار و القيم الغربية سحرت العقول و الأذهان

العربية أكثر من السيطرة الغربية المادية ، حتى عاد الجيل العربى المثقف يسجد على عتبات الغرب ، إلا أن هذه العتبات لم تكن عتبات المسيحية ، و إنما كانت عتبات العلم و التكنولوجيا اللذين أخذ بهما الغرب أولا . . و إذا كانت هـذه الأصنام تستطيع أن تزلزل عقيدتنا فى عيسى المسيح عليـه السلام ، فلم يكن فيها ما يضرب على إيماننا بالله . .

و لا أدل على فرح الغرب و طربه و اهتزازه من قراره لاغراء إسرائيل بالنهوض ، و تأسيس دولتها ، و إنما تجرأ على ذلك من زوال الدولة الاسلاميـة و أخذ اليوم ذلك طابع الحقد على الاسلام و التقزز منه .

. . ولا يستطيع ساسة الغرب أن يقدروا مدى قيمة الفرصة التى يمكنون أبناء الاسلام منها - على الرغم منهم - فى صورة قرارهم المشار إليه . . إنهم كانوا يحسبون أن الاختلاف فيما بين العرب واليهود (الذى يقوم على أساس الاختلاف فى العقيدة و الهـدف) سيذهب أدراج الرياح بفضل الزحف اللادينى فى مستقبل الأيام ، ظناً منهم أن الدين « المتقادم عهده » سوف لا يقاوم الغزو الالحادى . . و نفس ذلك رأوه فيما يتصل بايرلندا الشمالية .

و ربمـا كان بالامكان أن تتحقق أمنية الغرب ، لكن حادثين غريبين غيرا مجرى الحوادث : أولهما انحسار بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى - بفعل التمدد فى الأعصاب - إلى عدن و خليج فارس ، و هذا الموقف المتخاذل الضعيف مادياً و معنوياً قد نفخ روحاً فى الجسم العربى الهامـد ، فأصبح العرب لا يفكرون فى التجدد و التصنيع اللذين أصبحت الدولة العظيمـة - بريطانيا العظمى - التى كانت تحمل لواءهما تعانى الذل و الانحطاط الهائل فضلا عن أن يفكروا فى الديموقراطية

و الليبرالية ، فلم يكن العرب لأن يعتقدوا فى الآلهة الغربية التى كانت تسوق الغرب بالاستمرار إلى الانحطاط و الانحـلال ، و هنالك قرروا الاستمرار فى التشبث بماضيهم العريق العتيد إذا كانت بريطانيا العظيمة هى مرآة المستقبل .

و شعور الغرب الذى كان يدعى الألوهية فى زمن ما بحكم قوته و شوكته بضعفه وانهزامه الداخلى ، لم يكن ليقف به فى وجه الهجمة الجديدة التى تبلورت فى قطع « البترول » و منعـه من التصدير ، ذلك الذى صعب أيضاً على أمريكا - زعيمة الغرب الجديدة - أن تواجهه .

و مما زاد فى ذل الغرب و هوانه أن هذه الهجمة لم تشنها عليه شعب متقدم كشعب مصر أوإيران ، بل شعوب الأقطار التى قد عرفت بغيرتها الدينية و عاطفتها الاسلامية .

نعم ، قد تحدت مصر « جمال عبد الناصر » بريطانيا ، لكن هذا التحدى جاء فى إطار النعرات الغربية ، لكن « شيوخ » السعودية ، و ليبيـا ، و خليج فارس مزقوا الغرب حينما قطعوا عنـه بترولهم دون خضوع و « احترام » للقيم الغربية و التكنولوجيا الغربية . . و قد كان لذلك تأثير بعيد المدى . .

و الحمد لله الذى أكرم هذه الدول بهذه الكمية الهائلة من هـذه الوسائل الذهبية . .

. . ولم يكرم رد فعل دينى على امتداد التاريخ البشرى بمثل هذه الجائزة الثمينة .

فقـد أصبحت هاتى الدول العربية ترث العالم ، على حين إنها لم تتخذ من الوسائل ما لابد منه لاحراز التقدم ، كالاقتصاد فى الانفاق ، و الجد و الكد ، و التعليم و الثقافة ، و الجمهورية والحرية ، كما أنها لم تقض على المفاسد التى تعوق

التقدم ، كالظلمة الدينية ، و الجور ، و الضغط و الكبت ، والرشوة ، و الكسل و البطالة . . إلخ . .

وعاد العرب يقبلون على الاسلام من جديد ، فقد جربوا الويلات فى الماضى من أجل زهدهم فى الاسلام . .

وهناك نقطة اشتراك فيما بين النوعين من الناس : المتجددين . والمحافظين وهى الكراهية الشديدة اللاهثة الغريبة التى سببت الشقاء وكل نوع من الانحطاط والعقم .

ولكن لا نعدو صواباً لو قلنا : إن هذا الاعتقاد يعقم الغرب وقوة المسلمين لا يقل عن سوء الفهم أوالسفسطة ، لأن الغرب اليوم لو شاع لاستطاع أن يقاوم سلاح البترول بكل سهولة بمجرد الاستخدام الذكى للقوة الاقتصادية دون التعرض للقوة العسكرية . . لكن شعورالغرب بالجريمة - أعنى شعور الغرب فيما بعد عهد الاستعمار وشعور أمريكا فيما بعد عهد فيتنام حالينه وبين التفكير فى هذا الجانب ، وعلى ذلك فتسنى للاسلام فرصة أخرى لكى يجنى ثمارسعادة حظه .

لمحة عن واقع المسلمين

يعانى العالم الاسلامى فى هذا العصر من مشكلات حادة قاتلة . . لاتخفى أبعادها على من اطمأنت قلوبهم بالايمان بالله عز وجل ورسوله ﷺ . . ذلك أن المؤمنين الصادقين فى إيمانهم - وحدهم - الذين يشعرون بالواجب الكبير الملقى على عاتقهم فى هذه الأيام المليئة بالأحداث الجسام . و هؤلاء - وحدهم - مستعدون لمواجهة العقبات المحلية و الدولية لا يبغون من وراء بذلهم للنفس و الأهل و المال إلا رضوان الله تعالى .

و الكلام بالتفصيل عن المشكلات القائمة فى دنيا المسلمين اليوم طويل و ذو شجون ، لذلك سنحصر حديثنا بالاشارة إلى أكبر قضايا المسلمين ونعنى بها « مأساة فلسطين المسلمة » . فهذا الجزء الخطير من دار الاسلام لقى من « العرب » كل أنواع العقوق . . و المسلمون من أبناء فلسطين المسلمة تعرضوا لأبشع صنوف الاستغلال و الاذلال من الأنظمة العربية خلال فترة تربو على الثلاثين عاماً . . . تلك الأنظمة التى تغير موقفها تغيراً جذرياً من قضية فلسطينا الحبيبة إلى قلوب الملايين فى أنحاء الأرض . .

وبما أن المقام لا يأذن لنا بالاطناب فى الحديث عن « مأساة فلسطين المسلمة» فاننا نقول : عند ما تفجر الوضع فى إيران وخرج الملايين من المسلمين إلى شوارع المدن الرئيسية يطالبون بأنهاء فترة الانحراف عن الاسلام و باسقاط النظام الذى تولى تنفيذ سياسة « التغريب » سارع عدد من الأنظمة العربية إلى خطب ود الشاه و تأييده وهو الرجل الذى صادر الاسلام فى إيران و أذل المسلمين و فرض عليهم الجهل و الفقر و التبعية للغرب باسم « التحديث » و عندما اضطرته الأحداث إلى

ترك إيران فتحت له عواصم دول عربيـــة و لقى عنـد الحاكمين بأمرهم فيها كل ترحيب ، بل إن أحـــد هؤلاء الحكام صرح جهاراً نهاراً بأن للشاه يداً بيضاء على العرب و عليهم أن يقابلوا الاحسان بالاحسان ! ! .

نقارن مواقف هؤلاء الحكام من «الشاه» الذى كان أكبرعون لليهود فى الشرق ضد المسلمين ، بموقف الحكام مما جرى و يجرى فى فلسطين و لبنان - فقط - من قتل و تشريد وإذلال وتذويب للشخصية الاسلاميـــة بأيدى النصارى و اليهود و مجوس بلادالشام . فنرى البون شاسعاً ، بل نرى ونسمع مايتفطر له القلب كمداً إذ نرى التهافت على ترسيخ الاحتلال لأرض الاسلام و التخلى عن واجب التحرير .

و نقلب الطرف فى أحوال الناس داخل الأراضى العربية فنرى الجبن والذل و حب الدنيا و الاخلاد إلى الأرض من أبرز سمات المجتمع العربى المعاصر . . و قل أن تجد فيهم الرجال الأشداء . . أما أشباه الرجال ؟ فما أكثرهم ! !

ما الحل ؟

يحدثنا رسول الله ﷺ عن هذا الواقع الآسن ويبين لنا المخرج منه فيقول :

« إذا تبايعتهم بالعينة ، و أخذتم أذناب البقر ، و رضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » خرجـــه الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١١) .

و الرجوع إلى الاسلام يعنى أن نؤمن بكل ما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله عز وجل على أنه - وحـده - الحق . و أن نلتزم به ظاهراً و باطناً . . و أول الخطوات العملية على الطريق المستقيم تلزمنا برفض « فلسفـــة الجبن » التى حرفت الكلم عن مواضعه بتأويلات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان . وقد حدثنا أسلم أبو عمران عن التأويلات الباطلة فقال : « غزونا من المدينة نريد القسطنطينة

« البقية على ص ٩٢ »

كيف تسمح غيرتنـا بأن نكرم أعداءنا

فضيلة الأستاذ السيد محمد الرابع الحسنى الندوى
رئيس قسم الأدب العربى بدار العلوم ندوة العلماء

لم يكن معقولا أن تكون شعوب الشرق و الاسلام بحـاملة مسالمة مع هذه القوى و الشعوب الأجنبية التى ابتزت خيرات بلادنا سابقاً وقضت على معنوياتنـا و قيم حياتنا ، ثم لم تنسحب عن أقطارنا إلا بصورة شكلية بحتة .

لقد كانت الشعوب الاسلامية فى السابق تحت احتلال الغرب فى المجـــالات السياسية و العسكرية وحدها و لكن عقولها و قلوبها كانت حرة عزيزة ، و انقلب هذا الوضع اليوم ، فقد أصبحت البلاد اليوم حرة مستقلة سياسياً وعسكرياً ، ولكن العقول و القلوب أصبحت محتلة للغرب خاضعة لتعـــاليمه ، فهى تخضع لكل ما يأتى من الغرب و يخصه من أفكار و رغبات و أصبح بذلك كل ما يستورد من الغرب عزيزاً محترماً لديها ، أما ما ينحصر فى إطاره الداخلى أو ما يشهد فى المجال الشرقى فهو يعد تافها وسخيفاً وبذلك تجد الرجل الأوربى لا يزال عزيزاً محترماً لدى الشرقيين ترحب به القلوب و تقر برؤيته العيون أكثر من أخينا الشرقى ، إن الرجل الغربى مع كل الاعتداءات التى يتصف بها تاريخه فى الشرق ينال فينا من الأهمية و التقدير ما لا يناله الرجل البسيط من إخواننا الشرقيين و إن كان يحمل من المؤهلات و المبررات العلمية ما تجعله حرياً بالتقدير .

أليس يبعث عـــلى الأسف و الخجل أن نرى مجاملة الشرقيين و احترامهم للرجل الغربى و هو قد يكون من الشعب الأوربى الذى قضى زمنا طويلا فى قهر أمتنا و اضطهادها و انتهاب ثرواتها و كسر معنوياتها و استغل طاقات أمتنا لصالح بلاده وأبنائه ، أليس يدخل احترامنا وإكرامنا للانجليز و الفرنسيين فى هذا القبيل ، وهذه الجولة التى قامت بها ملكة بريطانيا فى دول الخليج والمنطقة الشرقية للسعودية أحد الأمثلة القبيحة لهذه الظاهرة السيئة و عند ما نرى التفاصيل التى تتصل بهذه الجولة تأخذنا الحيرة و يساورنا الخجل على نزولنا إلى درجة السخافة ، كيف سمح أبناء المنطقة و أمراؤها لأنفسهم أن يقوموا بالترحيب السخى الكريم لامرأة ليست من المسلمين و لا من إخوانهم فقط بل هى ملكة أمة قضت ردحة من الزمن فى إذلال هذه المنطقة و اضطهاد الكرماء من أبنائها وفى استغلال ثرواتها و إمكانياتها لتجعل كل ذلك زينة لتاجها فى لندن و انجلترا .

و لم نكتف بترحيبها و إكرامها الواجب فحسب بل أنفقنا على راحتها مبالغ خيالية من المال ملايين الملايين فى تنظيف البلد وتحسينه لتراه الملكة فتبتهج وتسر ، وملايين فى إقامة بعض المنشآت لتتمتع الملكة فيها براحة ساعتين أو بضع ساعات فقط ، وكم أهديت الحلى و الأموال لادخال السرور فى قلب هذه المرأة الكافرة التى تمثل بلداً كان المسلمون قبل سنوات يكتوون بنار ظلمـــه و اعتدائه ، أولم تكن سياسة الانجليز فى شرقنا العربى هى التى شتتت البـــلاد و ألقت فى قلوب حكامها العداوة فيما بينها و كم لهم من أعمال الاساءة و الافساد ، و لا يزالون على هذه السياسة و لكن مليكتهم تنال كل حب و إكرام من الشعوب التى كانت مستعبدة مضطهدة لهم سابقاً .

تقويم القذافى الجديد

الأستاذ محمد واضح رشيد الندوى

صدر فى ليبيا التقـــويم الذى اخترعه العقيد معمر القذافى ، كتقويم إسلامى بعد أن خصم عشر سنوات فى التقويم الهجرى السائد .

كان العقيد القذافى قد صرح فى مستهل العام الهجرى الجديد أن التقويم الاسلامى كان يجب أن يبدأ بوفاة النبى ﷺ باعتبـــاره يوماً حاسماً فى التاريخ الاسلامى ، و اعترض على البدء بالهجرة النبوية ، فكان بيـانه قـــد أثار ردود فعل عنيفة فى الأوساط الاسلامية و تناول الكتاب بالتعليق والنقاش ، و حاولوا إقناعه بالحجج العلمية والمنطقية ، والتاريخية ، وإزالة أوهامه و تعقداته التى أصبحت طبيعة الحكام العسكريين الذين يصلون إلى مناصب الحكم بدون مؤهلات تعليمية أوتربوية لائقة .

و قبل ذلك كانت شكوكه فى السنـــة سارت عـــلى نفس المنوال ، فكانت موضوع بحث و نقاش ، و احتجاج .

و الواقع الذى لامراء فيه أن العقيد لم يتفوه بمثل هـذا الهراء فى السنـــة ، و لا التقويم الهجرى عن عقل و فهم ، ولا عن جهل بالتاريخ والجهود العلمية ، و إنما فعل ذلك اقتفاء بآثار المشككين فى الاسلام وعلومه و آثاره و اقتداء بأفكار المسيحيين الحاقدين .

و لا غرابة فى ذلك و هو معذور فى الواقع ، فقد قيل : كل إناء يتصبب بمافيه ، فكل ما تعلمه العقيد و إن كان تعقـدات فكرية و شكوكا و أوهاما ، تعلمه من معلمين ومربين غرباء بالنسبة للاسلام .

و للتعليم و التربية تأثير غلاب على الفكر ، ولو أن بعض المفكرين يقولون :

إن الأصل لايفقد تأثيره بتأثير التعليم و التربية و لكن بعد الزمان عن الأصل يوهن تأثيره إلى حد يتلاشى كلياً أحياناً ، فلو كان العقيد مدنيا يعيش بين بنى جنسه يختلط بعامة الناس ، وعلمائهم ، لكان يحتمل أن تزول أوهامه ، و لكنه مثل الحكام المستبدين المذعورين يزداد شروداً كل يوم ، وكتابه الأخضر مثال واضح يبين متاهاته التى يتبلد فيها .

وقد اجتمع به وفد إسلامى مكون من خيرة علماء الاسلام لتصحيح عقيدته ولكن التقارير الصحفية تفيد أنه يزداد عناداً ولم يتزحزح قيد شعرة ، و تنفيذ التقويم الذى يطابق فكرته المنعزلة ، الشاردة ، يكشف عن طبيعته الغريبة، ولن يكون بعيداً إذا صدرت منه هفوات أخرى أو تصرفات غريبة جديدة تضع بلاده ، و جيرانه فى موضع خطر ، أو تجلب السخرية له و لرعاياه الأوفياء .

« بقية المنشور على ص ٨٨

و على أهل مصر عقبة بن عامر ، و على الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، و الروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة ، فحمل رجل منا على العدو ، فقال الناس : مه مه ! لا إله إلا الله ! يلقى بيديه إلى التهلكة ! فقال أبو أيوب الأنصارى : إنما تأولون هذه الآية هكذا أن حمل رجل منا يقاتل يلتمس الشهادة ، أو يبلى من نفسه ! إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ، لما نصر الله نبيه وأظهر الاسلام قلنا بيننا خفياً من رسول الله ﷺ : هلم نقيم فى أموالنا و نصلحها ، فأنزل الله تعالى : (و أنفقوا فى سبيل الله و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) فالالقاء بالأيدى إلى التهلكة : أن نقيم فى أموالنا و نصلحها وندع الجهاد ، قال أبو عمران : فلم يزل أبو أيوب يجاهد فى سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية » .

صور وأوضاع

١ـ ادفعوا ضريبة الشرف قبل أن تدفعوا ثمن الدعة والراحة

محمد الحسنى

من أهم ثغور الاسلام الحساسة الخطيرة التى تدور فيه اليوم دائرة الجهاد والتضحية و الفداء والمقاومة ـ الباسلة ـ التى أقضت مضاجع الأعداء « أفغانستان . بلاد الفاتحين و الغزاة منذ قديم الزمان : . أفغانستان المجاهدة الصامدة الخصبة الغنية المنتجة المنجبة التى نهض منها أمثال محمود الغزنوى ، و ظهير الدين بابر و شهاب الدين الغورى .

هذه البلاد تشهد اليوم أعنف معركة و أقساها وأخطرها لمستقبل بلادها وحياة أجيالها بين القوى الشيوعية السافرة و الاسلام الأبى الشامخ الذى لا يقبل الخنوع والاستسلام و لا يركع أمام الباطل المسلح المدجج بالسلاح و بالمكر و الدهاء والتكتية والعلم . . الأخطر من ذلك أن مستقبل هذه المنطقة كلها. بما فيها باكستان و إيران ، و الهند و بنجلاديش يتوقف ـ إلى أبعد حد ـ على نتيجة ذلك الصراع المرير ، ومما يبعث على الأمل ويدعو إلى التفاؤل أن هذه البلاد أثبتت جدارتها فى هذه المعركة ، و أن أبناءها البررة الذين عرفوا بالوازع الدينى قدموا أمثلة رائعة من البطولة و الايمان و المهارة الفنية . . و اعترفت الجهات السياسية العالمية كلها بأنهم على مستوى الشرف و الكفاءة . هذا الجانب الوضئ المشرق يتحول باهتاً داكناً إذا قسناه بالموقف العربى الاسلامى إزاء هذا البلد المرابط الذى خاض معركة المصير ، و معركة حياة و موت و معركة شيوعية و إسلام .

كانت البلاد العربية و الاسلاميـــة مقصرة فى جنب أفغانستان بصورة عامة وفى أكثر الأحوال هذا التقصير الخلقى ، و الاهمال السياسى ساق هـــذه البلاد الآمنة المطمئنة المسلمة المؤمنة ، البعيدة عن حلبة الصراع العالمى إلى نقطـــة نهائية حاسمة ، نقطة المخاوف و الآمال ، و نحن لا نرجو إلا الخير !

إن انتصار القوى الاسلامية فى أفغانستـــان لا يعنى انتصار هذا البلد فحسب بل إنه يعنى اندحار المعسكر الشيوعى و تقهقر « الدب الروسى » فى مختلف الجهات و المجالات إنه يخفف ضغطه على المملكة العربيـــة السعودية و الخليج وجنوب شرق آسيا والبلاد الاسلامية الواقعة تحت الاحتلال الروسى و غيرها من المناطق البعيـدة و القريبة . .

هـذه المرحلة التى دخل فيها الجهاد الاسلامى فى أفغانستان تتطلب دعماً فورياً متوفراً من كافة الجهات الاسلاميـــة، والدول الاسلامية و إيران و باكستان فى مقدمة هذه الدول طبعاً .

إن علماء أفغانستان وشبابها المسلم لا يحاربون لأنفسهم و وطنهـــم فحسب ، إنهم يحاربون للجيل المسلم فى باكستان و إيران و الخليج و السعودية إنهم يحـاربون من أجل المستقبل الاسلامى الذى بدأ يتكون ، و فى سبيل الحـــكم الاسلامى الذى بدأ يتبلور و فى سبيل إعـلاء كلمة الله التى بدأت أعلامها و راياتها ترفرف فى مختلف أرجاء العالم رغم أنف الحاقـــدين ، من الصليبيين و الصهـانية و الشيوعيين .

هذا الموقف يتطلب من بلادنا العربية العزيزة بوجه أخص . . أن تستيقظ من غفلتها ، و تأخذ أهبتها ، وتدفع ضريبـــة الشرفاء الأحرار قبل أن تضطر إلى دفع ثمن الاستسلام ، ثمن الدعة و الراحة و النعومة ، ثمن البـذخ والاسراف ،

و التفاوت الطبقى ثمن النوم المريح على الفرش الايطالية الوثيرة إلى ساعات متأخرة من الضحى . . و قبل أن يدق أبوابها طارق بلا رحمة و لا هوادة . . و يدخل عليها بلا استئذان ، و قبل أن تغشاهم مصيبـــه قبل سابق إنذار . . و من غير احترام لبراميل البترول و ناقلاته ، أو تحل قريباً من دارهم .

إن حوادث أفغانسان صفارة إنذار للحالمين الغارقين فى نومـــة الضحى أن يتداركوا الفرصة الهاربة منهم ، المتملصة من أيديهم ، الضاحكة عليهم .

إنها فرصة اختبار و ذكاء .

و إنها فرصة حياة و شرف و حرية ! فأين الشرفاء الأحرار !

٢- صفقة خاسرة

و أخيراً تمت الصفقة الخاسرة بين مصر و إسرائيل ، و باركها كارتر ، و الغاية من هذه الصفقة (التى يسمونها صلحاً و تسوية شامله ، و حـــدثا تاريخياً و انقلاباً عظيما على مدار الزمن ، و نقطة تحول فى تاريخ الانسانيـة إلى غير ذلك من ألقاب فارغة ما أنزل الله بها من سلطان) ليست الا تحويل قبلة مصر ، تحويل وجهها المشرق الوضئ بالايمان و البطولة والجهاد ، من الخط الاسلامى إلى الخط العلمانى ، تحويلها من بلد اسلامى إلى (بلد اسلامى ، يهودى ، مسيحى) تذوب فى بوتقتـه شخصية المسلم و ثقافته و قيمه و أهدافه و مثله العليا ، تحويلها من بلد الاستقامـة والوفاء ، إلى بلد الميوعة و الرخاء ، من بلد الحرية و الاستقلال ، إلى بلد التفسخ

و الانحلال ، تحويلها من سيد إلى سيد ، و وكيل إلى وكيل ، ومدير إلى مدير ، و من مدرب إلى مدرب ، و من معلم إلى معلم .

إنها ليست صفقة خاسرة بحساب بنود الاتفاقية فحسب . إنها صفقة خاسرة - أيضاً - بحساب المصير النهائى لشعب مصر ، بحساب المستقبل ، مستقبل أبناء مصر وبنات مصر ، بحساب الأسرة الاسلامية العالمية التى تحتل مصر العظيمة ركناً كبيراً من أركانها ، و قاعدة واسعة صلبة من قواعدها . .

إنها إخلاء جبهة قوية من جبهات المعركة الحامية الدائرة بين القوى الصليبية و الشيوعية الحاقدة ، و القوى الاسلامية الناهضة .

إنها حجر عثرة فى سبيل المد الاسلامى حتى لا تتسلل عدوى الانقلاب الاسلامى و البعث الاسلامى إلى هذه القلعة الكبيرة من قلاع الاسلام .

إنها صفقة تخسر فيها مصر ، مكانتها المرموقة فى خريطة العالم فى سبيل لقمة العيش، ولقمة العيش بعيدة لاتزال فى ذنيا الأحلام . ومعلوم أن عدوى الأفكار لاتمنعها « الصفقات » و أن « رفض » الشعوب أقوى من رفض الدول و الحكومات ، وأن المد الاسلامى يسير على أكتاف العقول والقلوب وهو - كالأثير - لا يعرف الحواجز الاصطناعية و الأسوار المادية و لا تحول فى طريقه المحيطات الهادرة و الجبال الشاهقة .

٣- هل صحيح أن عهود الاسلام عهود لا إنسانية

فى العدد الذى صدر يوم ١٧ أبريل ١٩٧٨م من مجلة (نيوزويك) الأمريكية و كذلك فى العدد الصادر يوم ٢٤ أبريل من مجلة (تايم) الأميركية كلام خطير

أدلى به وزير الصناعة و الكهرباء السعودى (غازى القصيبى) يقول فيه مشيداً بالتقدم الصناعى الذى يدعى أنه يشيده فى مهد النبوة (و الكلام موجه إلى أحد الصحفيين الأمريكان فى إحدى مقابلاته) يقول : « إنك إذا لم تتذكر توق شعبنا (السعودى) إلى حياة أفضل بعد ٣ آلاف سنة من الوجود اللا إنسانى فانك لن تستطيع فهم ما يجرى اليوم فى السعودية ؟ ؟ ؟

و هذه العبارة خطيرة لأنها تصدر من وزير مسئول فى بلد إسلامى بل فى مهد الاسلام . لأنه مجرد (كلام) لادليل له ولاسند . إنه يصف التاريخ الاسلامى بأكمله ، بما فيه عهد النبوة الكريم وعصر الراشدين المتألق وما بعده من العصور ، بأنها عهود غير إنسانية و هى العصور التى أعطت الانسانية جمعاء عهداً جديداً من الحضارة لم يسبق و لم يعهد له مثيل عبر التاريخ .

و إننا لنعجب أشد العجب أن يصدر مثل هذا القول من أحد أبناء أرض الحرمين ، و نأمل الا يكون هذا القول قد صدر منه و إنه سوء فهم أو دس من الصحفيين الأجنبيين اللذين يسرهما ككل أهل الكفر والفسوق والنفاق أن ينشر مثل هذا الكلام ويذاع على الملأ وخصوصاً على لسان أبناء المسلمين أنفسهم لتشكيك أجيال الاسلام فى دينهم . . و دفعهم إلى ما غرقت فيه الحضارة الغربية من مباذل و انحرافات خلقية و مفاسد لكى لا تقوم للاسلام قائمة و ليبقى المسلمون مهانين مستذلين مستغلين من قبل أمم الكفر الباغين .

إننا نتمنى على الدكتور غازى القصيبى أن يكذب ما نسب إليه و إن تنشر قريباً ذلك التكذيب و أن نقرأه فى نفس الصحف المفترية ، و إلى أن يكون ذلك فنحن بالانتظار .

« البلاغ »

٤ــ أنباء لا تحتاج إلى تعليق!

● « يرى أبو أياد عضو اللجنة المركزية لحركة فتح أنه ليس فى صالح العالم العربى أن تجتاحه موجة إسلامية كتلك التى اجتاحت إيران لأن العالم العربى يضم ستة عشر مليون مسيحى على الأقل . و نشرت صحيفة الأنوار اللبنانية حديثاً لأبو أياد لاحظ فيه أن ما يربط المسيحيين بالمسلمين داخل العالم العربى هو العروبة و القومية العربية ، و قال أبو أياد و لذلك يجب علينا نحن العرب أن ندرك أن إيران الاسلامية فى صالحنا من جانب أخر وكانت إيران قبل الثورة الحلقة المتينة فى سلسلة المحور الذى تعتمد عليه الولايات المتحدة فى المنطقة و ضرب هذه الحلقة يعادل إضعاف الحلقات الأخرى مثل نظام حكم السادات و إسرائيل وبعض أنظمة الحكم العربية الأخرى » .

« البلاغ » الكويت

● طلب آية الله الخمينى من ياسر عرفات عدم اصطحاب جورج حبش إلى إيران عند زيارته لها كما طلب منه التخلى عن شعار إقامة الدولة العلمانية فى فلسطين بعد تحريرها ، لأن فلسطين بلد إسلامى و يجب أن لا يحكمها غير الاسلام !

« الدعوة » الرياض

سعادة الأمين العام للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

يزور دار العلوم ندوة العلماء

فى ١٩ / من ربيع الثانى ١٣٩٩هـ المصادف ١٩/ مارس ١٩٧٩م شرف سعادة الشيخ عمر محمد فلاته الأمين العام للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ندوة العلماء بزيارته عائداً من الجامعة السلفية بوارانسى ، وكان يرافقه فضيلة الشيخ محمد الكاتب المدرس بثانوية الجامعة الاسلامية و استقبلهما على المحطة الاستاذان سعيد الأعظمى و واضح رشيد الندوى ، و كانت زيارته لندوة العلماء ضمن جولته للهند ، وفى صباح يوم الثلاثاء ٢٠/ ٤ / ٩٩هـ توجه سعادته إلى رأى بريلى لزيارة سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى الذى رحب بسعادته ترحيباً حاراً ، وفرح بلقائه هذا المفاجئ ، و بعد ماقضى سعادته مع سماحة الشيخ الندوى وقتاً طيباً فى القرية عاد معه إلى لكهنؤ حيث زار دار العلوم والأقسام التابعة لها ، و قد رحب به جمع من أساتذة الدار و طلابها فى قاعة دار العلوم الرئيسية .

و ألقى بالمناسبة سماحة الشيخ الندوى كلمة وجيزة ذكرفيها صلته بسعادة الضيف الكريم و عبر عن سروره بتشريفه المفاجئ ، و شكره على هذه الزيارة الأخوية الطيبة ، وقال إن المرء يتأخر ويتأخر فى زيارته حتى يقال إنه لاأمل فى ذلك ولكنه يفاجأ بتقدير الله و يزور فتتوالى الزيارات باذن الله ، و لذلك فانا أرجو أن تكون هذه الزيارة طليعة لزيارات قادمة متكررة إن شاء الله تعالى .

وتفضل الضيف الكريم فرد على كلمة التحية هذه رداً حسناً وتحدث عن علاقته

بسماحة مولانا الندوى و ندوة العلماء و بهذه البلاد ، و عبر عن سروره البالغ للقاء الجليل الذى أتاحه الله تعالى مع سماحة الشيخ الندوى فى بلده و مقر نشاطه .

وغادر سعادته لكهنؤ إلى دلهى عائداً إلى المدينة المنورة فى مساء ذلك اليوم ، نرجو الله سبحانه أن يكون قد وصل إلى مقره فى سلامة الله تعالى وحفظه .

رحلة سعيدة

توجه الأستاذ سعيد الأعظمى الندوى رئيس تحرير « البعث الاسلامى » وأستاذ الأدب العربى بدار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ (الهند) إلى الامارات العربية المتحدة فى طريقه إلى القاهرة ، حيث يحضر مؤتمر البحوث الاسلامية المنعقد فى العشرين من شهر أبريل ١٩٧٩ وسيزور أيضاً الكويت و المملكة العربية السعودية ويرافقه الأستاذ قمر على الندوى ، نرجو للأخ الكريم كل النجاح والتوفيق فى مهمته ، والهناء و راحة البال فى الحل و الترحال !

الاسلام الممتحن

الطبعة الثانيـة

بقلم : محمد الحسنى

الكتاب الثائر على الأنظمة الجاهلية المعاصرة والأوضاع الفاسدة

كتاب الجيل المسلم الجديد

كتاب الحق و الحرية و القوة ، والدعوة الحكيمة و التفكير السليم

يطلب من المكتبات الاسلامية الشهيرة

الناشر : المختار الاسلامى بالقاهرة

وداعاً . . . فى « متحف » التاريخ

حاولت « نقابة » الزعماء السياسيين فى العالم ، و حاول رؤساء وملوك بعض الدول العربية - من غير حق - أن يرغموا الرئيس الباكستانى المسلم محمدضياء الحق على العفو عن ذوالفقار على بوتو . . و لكن ساقته الأقدار إلى حبل المشنقة رغم أنوفهم ، و جاء هذا الاعدام دافعاً قوياً لقافلة الاسلام الزاحفة المباركة .

« ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون »

« فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين »

نحن نحيي الجنرال محمد ضياء الحق على موقفه التاريخى العظيم إزاء هذه القضية الهامة وثباته على جادة الحق ، ونحيي الشعب الباكستانى على وعيه ، وشجاعته الخلقية ، وضميره المؤمن ، وتميزه بين الصديق و العدو .

إن إعدامه دليل على أن الشعب المسلم - أينما كان - ان يسمح لشخص - ولو كان فى ذروة جاهه و منصبه - بالتلاعب بمصير البـــلاد و العبث بالمجتمع الاسلامى وتحويل خطه من الاسلام والايمان إلى اللادينية والعلمانية ، والمادية والاباحية .

« و من يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم »

لقد تعود الاشتراكيون و الماركسيون على سفك دماء المسلمين فى كل مكان - و أخيراً فى أفغانستان - فجاء هذا الدم أو هذا الاعدام ثأراً لهم .

ولعله أول اشتراكى شنق بعد محاكمة قانونية علنية دامت أكثر من سنة ، بعد مئات من المؤمنين الذين شنقوا من غير محاكمة !

وداعاً فى « متحف » التاريخ .

و سلام على المؤمنين ، و الحمد لله رب العالمين .

[التحرير]